جامعة عبد الرحمان ميرة –بجاية–

كلية الأدب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة

البطل المضاد في رواية"دمية النار"

ل"مفتي بشير"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

إعداد الطالبة:

عجام وهيبة

إشراف الأستاذة:

إدريس سامية

السنة الجامعية

2015–2014

شكر و عرفان

أقدم هذا العمل المتواضع عربون محبة و احتراما للأستاذة المشرفة

الدكتورة سامية إدريس ،علي كل التوجيهات التي قدمتها إلي و للمعرفة التي أمدتني بها،حيث كانت لي خير هاد في هذه المرحلة.أتمني أن يجعلها الله ذخرا لأهل العلم و المعرفة

يحميها و يوفقها.

الإهداء

إلي من ربياني صغيرة

إلي من أتمني أن أنال رضاهما وأنا كبيرة

إلي من وقفا بجانبي طيلة حياتي و أراد

تتويجي أميرة

فأنتما من تستحقان التتويج اليوم في مملكتي الصغيرة

التي أردتماها قبسا منيرا، وشعلة متوهجة في ظلمة الأيام العسيرة

إلي والداي

إلي عائلتي و زوجي و إلي عائلته ،إلي صديقاتي لبنى و هجيرة

و وناسة إلي كل زملائي و أساتذتي

و إلي من يعرفني

مقدمة

تعد الرواية مراء ة عاكسة للحياة بشتى ميادينها و أبعادها،و لجاء إليها الروائيين في فترات حاسمة تعلقت بالواقع الاجتماعي و التاريخي.

و لم يكن الروائيين الجزائريين بمنأى عن هذا الاهتمام، حيث وجدوا فيها فضاء خصبا لتجسيد معاناتهم و تصويرها و نقدها.

ولما كانت فترة التسعينات مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر الحديث، فقد ظهر كتاب شباب قدموا تجارب روائية جديدة، و لقد اختلف النقاد حولها في تقيمها بالنظر لجدة التجربة فقد تطلبت صياغتها جماليا ،برؤيا و أدوات فنية جديدة استجابة لتحولات المرحلة التي أملت ظهور نماذج جديدة للشخصيات في الواقع «شخصية المتدين المتعصب،المثقف،السياسيين،المرأة المتمرد أو الخاضعة،رجال الأمن.....»

حيث نشهد بشكل مفارق إعادة الاعتبار لمفهوم الشخصية في الأدب الروائي.

فبعد إهمالها في الرواية التقليدية، والتي حصرت مهمتها في إيصال الأفكار وتبيان التوجهات الفكرية و الأدبية للروائي.

إلي تفاعلها مع الحدث و نموها و تطورها مع الزمن داخل العمل الأدبي في الرواية الحديثة.

إلي تنوع أسماءها و وصيفاتها من حروف ورموز، وتقديما لرؤية لا يقينية للعالم وكل هذا بأسلوب جديد في الرواية الحديثة.

و ترقي هذا النماذج في أحيان كثيرة لتحقق مفهوم البطولة في الأدب،و التي عرفت تطور و تغير عبر مختلف مراحلها،فنجد البطولة الأسطورية قد تلاشت معالمها ،و اختفت نماذجها،كما أن الاعتقاد بها و الامتثال لها ضعيف جدا مقارنة لما كانت عليه في الآداب التقليدية .

إلا انه هناك من يشير إلي وجودها وحضورها ولكن بنماذج و أفكار و سلوك جديد تعكس المحيط الاجتماعي و الإطار الزماني التي ظهرت فيه، وهذا ما نجده في الرواية الحديثة.

ورواية التسعينات أنتجت نوع جديد للبطولة،لا يمثل قيم ايجابية بل يمتثل للقيم السلبية أو الشريرة،وهو ما يعرف في الاصطلاح الأدبي بالبطل المضاد.

من هذا المنطلق نصوغ إشكالية البحث كما يلي:

– كيف ارتسمت صورة المجتمع في رواية "بشير مفتي "دمية النار؟

–ما طبيعة البطل الذي قدمه "بشير مفتي" في روايته "دمية النار"؟

استعنا في بحثنا هذا علي طريقة التحليل الاجتماعي ،بالبحث عن صورة المجتمع داخل الرواية مع التركيز علي شخصية البطل المضاد، و قد استعرنا مصطلح صورة المجتمع من الباحث السوسيونقدي "كلود دوشي"« duchet claude » .والذي استعان به في تحليله للرواية الغربية في سياقها الاجتماعي.

لإجابة عن أسئلتنا قمنا بتقسيم البحث إلي مقدمة و ثلاثة فصول وخاتمة.حيث طرحنا في المقدمة موضوع البحث، و دوافع اختياره وأهميته، كما اشرنا إلي الطريقة التي استعنا بها في تحليل مجتمع الرواية و البطل المضاد.

الفصل الأول كان حول مفهوم البطولة في الأدب و تطوره، حيث تطرقنا إلي المفهوم التقليدي للبطل وذلك من خلال إيراد المعني اللغوي و المعجمي للبطولة، بعدها عرجنا للحديث عن البطل في الأدب الشعبي (و القصة الشعبية و الأساطير) و الأدب الكلاسيكي(الملاحم اليونانية).

انتقلنا بعدها إلي مجال النقد وهذا بمعالجتنا لعنصر تحت عنوان، البطل في النقد الاجتماعي وعرضنا فيه أنواع الأبطال استنادا لمدارس و اتجاهات نقدية الرومانسية و الواقعية.كما تطرقنا إلي إشكالية تحديد البطل في الرواية ،و أوردنا عنصر أخر عن تلاشي البطولة و الذي عرضنا فيه وضعية الفرد في عالمنا و الأسباب التي أدت إلي غيابه و تدهور دوره،و رصدنا مراحل حركة الشخصية و سماتها و أنواعها داخل المتن الروائي وعلاقاتها بغيرها من مشكلات النص،وأدرجنا أهم أراء النقاد و الدارسين حول تلاشي البطولة في الرواية الجديدة.

أما الفصل الثاني المعنون بمجتمع الرواية، فقد خصصناه للحديث عن شخصيات الرواية وعلاقتها بالبطل، كما عرضنا الفضاء العام لرواية.

و الفصل الثالث خصصناه للبطل المضاد في الرواية،حيث عرضنا في البداية التناقض القيمي والأخلاقي بين الروائي "بشير مفتي"و بطل روايته "رضا شاوش" بعدها حللنا شخصية البطل المضاد عبر مختلف مراحل حياته،وتعرضنا لأهم ما اثر و تأثر به.

وفي الخاتمة ذكرنا بأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لرواية.

و الإلمام بالمراجع التي تخدم بحثنا كان من بين الصعوبات التي أعاقت مسار بحثنا، إلا أن هذا لم يمنع من مواصلة البحث و الاجتهاد حول هذا الموضوع. والتعلق بالأدب عامة، والرواية خاصة، دفعنا إلي اختيار هذا الميدان من الدراسة.حيث حاولنا تقديم و توفير بحث حول البطل المضاد في رواية دمية النار،وهذا لندرة وقلة البحوث و الدراسات في هذا الموضوع. و سعينا لدراسة القيم الأخلاقية لشخصية البطل في الرواية، تكفل لنا الكشف عن طبيعة شخوص التي تعكسها الرواية.و محاولة الكشف عن أهمية دور المحيط العائلي و الاجتماعي و السياسي في بلورة قيم مشتركة بين أفراد المجتمع و دفعهم إلي التخلي عن بعض القيم الأخلاقية السلوكية الخيرة و استبدالها بآخري شريرة و مضادة.

كما يعد موضوع البطل المضاد في الرواية من أهم المواضيع الجديرة بالبحث و الدراسة،لا سيما أن الرواية الجزائرية الحديثة عالجت مثل هذه الشخصيات والتي استوحتها من الواقع

و تساعدنا هذه الدراسة في الكشف عن اثر الأوضاع السياسية و الاجتماعية في قيم الفرد.وتمكننا من معرفة التغيرات التي طرأت علي منظومة القيم في مجتمعنا،ومعرفة القيم التي بقية ثابتة لم تتغير و القيم التي تغيرت و الأسباب التي كانت وراء هذا التغيير.

كان هدفنا من هذا البحث

-التعرف أكثر علي القيم السائدة في مجتمعنا، والظروف التي عاشتها بلادنا ولتي صورتها لنا الرواية، وهذا بإلقاء الضوء عليها و معرفتها معرفة علمية.- الكشف عن أهم التغيرات التي طرأت علي الشخصيات تحت تأثير المجتمع و السياسة.

- استعراض بعض الدراسات التي تناولت الشخصية في الرواية، و البطل خاصة.

-الإشارة إلي نوع الكتابة و الشخصية الروائية التي أنتجتها رواية الأزمة التي عاشتها الجزائر.

الفصل الأول

البطولة في الأدب و تطورها

مفهوم البطولة في الأدب و تطوره

داخل أي عمل روائي يتم التركيز علي شخصية معينة، حيث تدور حوله الأحداث و تحيط من حوله الشخصيات، و يستولي علي اكبر قدر من الوصف....،وهذا ما نسميه با الشخصية البطلة.

و من المعروف أن البطولة ليست مختصرة في العمل الفني، بل البطولة موجودة في كل ميادين الحياة.

وهذا الوجود دفعنا إليه البحث عن:مفهوم التقليدي للبطل، والبطل حسب المذاهب الأدبية وإشكالية تحديد البطل، وتلاشي البطولة، و تطرقنا لتعريف البطل و البطل المضاد

1)- المفهوم التقليدي للبطل:

يقترب مفهوم البطولة بمعناها التقليدي من مفهومها التاريخي، والمعني المتعارف به بين الناس ليدل علي مفهوم البطولة بما تعنيه من قيم و أعمال تجعل من فرد ما أو جماعة مميزين ضمن إطار مكاني و زماني معين.

أما المعني اللغوي للبطولة في« اللغة الغلبة علي الأقران، وهي غلبة يرتفع بها البطل عمن حوله من الناس العاديين ارتفاعا يملا نفوسهم إجلالا و إكبارا» [1] و البطل بالتالي الشجاع «الذي يبطل العظائم بسيفه في،هرجها ،وتبطل جراحه فلا يكترث لهاو لذلك لان الأشداء يبطلون عنده أيضا سمي بطل» [2]

كما ورد في المعجم المفصل في الأدب «إذا يبين ارتفاع هؤلاء الأبطال إلي منزلة الإلهة واستحقاقهم ،ومن ثم للعبادة و يدرجهم ضمن أقسام أربعة،بطل واقعي أضيف إليه الخيال مثل عنترة،ة ثاني يكون من نسج الخيال أصلا كأبطال الإلياذة و غيرهم عند اليونان،وثالث قد يكون إلها نزل من مكانته في مصاف الإلهة فاقترب من الواقع بعيدا عن الخيال ،ورابع يجمع بين الخيال والواقع،إلا أن الواقعية فيه أكثر من الخيال»[3]

و الإعجاب بفكرة البطولة كان مصدرها الأول، علي اعتبار أن الكمال الذي وصلت إليه الحياة، لم يتأت لها بفضل بطولة ،لكن توفر في شخص ما ميزات نفسية وعقلية وحتى جسدية متميزة فيتفرد بها عن باقي أقرانه من أبناء زمانه ومحيطه،يدفع الناس بالإعجاب به فهم الذين يحكمون عليه بالبطل.

كما أن الأساطير اليونانية مجدت البطل ودوره وفضله في المجتمع«الأساطير اليونانية جعلت تلك الضرورة منوط بما لهؤلاء الأبطال من فضل في بناء المدن اليونانية، والدفاع عنها

---

[1] البطولة في الشعر العربي:مصر،دار المعارف1997، ص9.

[2] ينظر:ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، معجم لسان العرب، المجلد الحادي عشر، بيروت، دار صادر، د ت، ص56.

[3] ينظر:التونجي محمد الخزانة اللغوية ،معجم المفصل في الأدب،لبنان بيروت،دار الكتب العلمية،ع1،1993،ص.189

و ما حققوه من انتصارات باهرة للشعب اليوناني في حروبه ضد أعدائه»[4]

ضف لهذا حاجة المجتمعات باختلاف أنظمتها وأنواعها إلي من يقودهم و يكون عبرة يعتبر به،«كل مجتمع يحتاج إلي من يقوده ،ومن هنا تبدءا فكرة البطل اجتماعيا و سياسيا، بل

كذلك دينيا، و يعني ذلك أن البطل لا بد أن يأخذ بيد مجتمعه لينظمه و ينظر إليه ويقود في الحروب إلي النصر»[5]

نستنتج من هذا حاجة المجتمعات لشخص يعينهم ويكون قائدهم ويكون مثلهم الأعلى حيث تظهر أثار أعماله و أفكاره في مختلف ميادين الحياة،وهم بدورهم يتخذون منه بطلا.

كما أن المجتمعات اختلفت في تصورها للبطل من حيث شكله وأعماله «لقد تصور الشعب بطله مخلوقا غير عادي فاخذ يصنع الأساطير واخذ يصور حياته من يوم ولادته إلي يوم وفاته،تصويرا فيه من الخيال الشيء الكثير ،ثم اخذ كذلك يصنع حول شخصيته الأناشيد والأغاني و ما لبث كل ذلك أن تجمع و كون القصص و الملاحم»[6]

فلكل بيئة اجتماعية خصائصها الجغرافية و الثقافية .... وهذا يؤدي إلي الاختلاف في تصور البطل من حيث أخلاقه و أعماله وصيفاته طبعا يجب أن تخدم البيئة التي ظهر فيها.

أما فيما يخص البطولة في الأدب الشعبي اتصفت بالذاتية غير خاضع لقوي عظيمة،كما انه يهتم بمجتمعه و كل ما يتعلق به«أما البطولة في الآداب الشعبية التي شكلت منها الملاحم وأيام العرب و الحكايات الخرافية،فقد اتسمت بذاتية،مشابهة بذلك بطولة الأدب التراجيدي بمعني أن قدرات البطل نابعة من ذاته و ليست من القوي الخارقة،ولا ينفي ذلك بعده الاجتماعي بل علي العكس فهو يهتم بمشكلات قومه أكثر مما يهتم بمشكلاته، ،ويقوم بدور فاعل اتجاهها ما يقربه

---

[4]ينظر:سرحان نمر ،الحكاية الشعبية الفلسطينية،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،ط2،

[5]ينظر:العشري، احمد، البطل في مسرح الستينات بين النظرية و التطبيق"دراسة تحليلية "الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992،ص.13

[6]المرجع نفسه، ص45،46 ، و ينظر، يونس عبد الحميد، البطولة في الأدب الشعبي، ع1، كانون الثاني1959 ، ص8.

من بطل الرواية ذات الطابع الملحمي في المجتمع الاشتراكي، يسمه بالايجابية ،التي افتقر إليها البطل الرومانسي»[7] .

وهذه الذاتية في البطل الاجتماعي راجع إلي أن البطل فيه إنسان عادي لكنه تتوفر فيه صيفات محبوبة بدرجة كبيرة مثلا السعي لمساعدة الناس ،أما الجانب الاجتماعي فيه فهذا طبيعي كونه يعيش ضمن وسط اجتماعي.

إلا أن هذا البطل تفرد بمواجهته للقوي الغيبية شأنه في ذلك شأن البطل الأسطوري

«الأدب العربي الرسمي منه و الشعبي تحفل بمثل هذه الصورة للبطل وفق المفهوم التقليدي ،وعودة سريعة إلي سير العرب و أيامهم كافية لان تضع القارئ في صورة هذا الحضور،و قد تبوءا الشاعر باعتباره لسان القبيلة الناطق باسمها ،ودوره في تلك البطولة وهو يدافع عن حق قبيلته ويسجل مآثرها» [8]

و الحكاية الشعبية تقدم صورة اجتماعية مرتبطة بمحاكاة الواقع ،«ولتحقيق هدفها في الإصلاح تعتمد علي السخرية المرة و الفكاهة الضاحكة اللاذعة،وتتخذ من شخصيات مجهولة مستعارة أبطالا يشكلون رموزا للتخفي وراءها» [9]وبطل الحكاية الشعبية تنتهي رحلته بتحقيق هدفه ،كما أنها لا تذكر أسماء الأبطال بل تشير إليهم.

كما انه هناك ملاحم البطل الإنسانية، تأثرت تلك الملاحم في السيرة العربية، سيرة ذات الهمة.

أما البطل الكلاسيكي الذي جاء منسجما مع فكر الكلاسيكية كمذهب أدبي ظهر في نهاية العصور الوسطي،«فلم يخض صراعا مع القوي الخارقة كأسلافه في الملاحم و الأساطير اليونانية

---

[7]ينظر عبد الهادي فيحاء ،نماذج المراءة البطل في الرواية الفلسطينية ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997ص.28

[8]ينظر:عليان،البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولي حتي عام1973 م،ص.8.

[9]ينظر:سرحان ،الحكاية الشعبية الفلسطينية،ص21،22.

و الرومانية،فلم يظهر صراع نفسي في داخله،ذلك لقوي المسيطرة التي لم تترك مجالا لمثل هذا الصراع،وقد ظهر في صورته تلك في الرواية الخيالية ،أو رواية الرومانس» [10]

كما نجد بعض خصائص البطل الكلاسيكي «إذا تمثلت فيها شخصية البطل الكلاسيكي باعتباره شخصية البطل المحوري في الرواية الكلاسيكية ،فقد استقطبت اهتمام الروائي كله،فحشدت أفعال الشخصيات الأخرى و أنماط سلوكها لتنمي جوانبه و تعزز مواقفه و أنماط سلوكه،في سبيل إبراز ميزاته و أبعاده كمحور رئيس في الرواية» [11]

بحلول عصر النهضة رافقه انتقال من تصوير هذه البطولة التقليدية ،إذا لم يعد الملوك والأشراف و الفرسان مادة بطولة مغرية لكتاب هذا العصر،فاستبدلوا بهم أبناء الطبقة المتوسطة وأحيانا أبناء الطبقات الفقيرة ،وقد تمثل ذلك في الاتجاهات الأدبية في فنون التأليف التي ظهرت في القرن18 م.

كما أن الرواية في العصر الحديث ركزت علي نوعين من الصراع، صراع الإنسان مع نفسه و صراعه مع غيره، علي نحو مخالف لصراع البطل الأسطوري،و الملحمي والتراجيدي،كما أن صورته تغيرت وأدوره اختلفت عما كان معروف به من قبل،ففي عصرنا كل فرد يبحث عن إرضاء نفسه بتحقيق أحلامه و رغباته،مهملا الأخر.

كما أن الاتجاهات صارت متعددة وللشخص الحرية في اختيار ما يلائمه فمصيره يصنعه بنفسه،لهذا نقول أن الإيمان الجماعي و المطلق للبطل لم يكن كما كان من قبل ،أين يكون بطل وسط جماعة كبيرة تؤمن ببطولته بشكل مطلق أما لان فأن لكل فرد نموذجه وتصوره الخاص للبطل.

---

[10] عليان حسن :البطل في مسرح الستينات بين النظرية و التطبيق"دراسة تحليلية"الهيئة المصرية العامة للكتاب 1192،ص39.

[11] المرجع نفسه،ص39.

2)-البطل في النقد الأدبي الاجتماعي:

هناك علاقة بين الفرد والمجتمع، فلا وجود للمجتمع بغياب الفرد، ولا دور للفرد خارج المجتمع، بمعني التأثير الدور الاجتماعي للفرد لا يتحقق إلا داخل المجتمع، رغم عدم تكافؤ الكفتين.

فالاعتبار الأول هو من نصيب المجتمع،بمعني انه يؤثر في الفرد وسلوكه وإيديولوجيته.

بهذا نستطيع القول أن قيمة الفرد تتحدد إلي حد كبير بنظرة المجتمع إلي الفرد«والمجتمع بداهة لا يتكون من مجرد تجمع أفراد يعيش كل منهم في عزلة،في عالمه الخاص،يجتر مشكلاته،ويقتات همومه،ذلك لأنه يستحيل تصور الفرد منعزلا عن ظروفه الاجتماعية التي تحيط به،والعلاقات الاجتماعية التي يمكن أن تربطه بغيره،ومن يعتمد عليهم في كيانه ووجوده،إذا لو صدق هذا التصور لكان الفرد تمثالا جامدا لا حراك فيه،ووليد تفكير فردي،والسبب في ذلك هو أن ما يكون الفرد نفسه و عالمه الباطني ذاته و احتياجاته ومطامحه و ميوله ووجهات نظره إلي الأشياء و الإنسان إنما هي الظروف الاجتماعية التي تحيط به وتعمل علي تطويره و تهذيبه ونموه» [12]

فالفرد يعيش في أحضان المجتمع.فيتأثر ويؤثر عبر كل مراحل حياته فهل«همسات المجتمع تلقين البطل....وهجمات البطل تجسيم لأحلام المجتمع»[13]

و«مادام البطل يولد من رحم المجتمع...بمعني انه انعكاس للواقع الاجتماعي ،فهو بهذا المفهوم يعد خلقا اجتماعيا بحتا» [14]من هنا يمكن اعتبار مشكلة البطل هي مشكلة المجتمع،تتغير صورته بتغير البناء الاجتماعي الذي هو عملية مستمرة،تتمثل في الحركة التي تنتج عن تفكك العلاقات الاجتماعية وإعادة تركيبها.لذا يجب التمييز بين نشاط الأفراد داخل البناء و تغيرات البناء الاجتماعي.

---

[12] الهوا ري أحمد إبراهيم:البطل المعاصر في الرواية المصرية، دار الحرية للطباعة، بغداد 1976، ص13.

[13] المرجع نفسه، ص13.

[14] المرجع نفسه، ص14.

من كل هذا نستطيع لقول بأن البطل هو نتاج و انعكاس لما يحيط به، من بناء اقتصادي وتوجه فكري و إيديولوجي و حتى سياسي و اجتماعي، حيث ينتج من كل هذا طبقة فرد برجوازي و أخر فقير كادح، و من سيد و قائد وعبيد خادم، ومن مثقف وأمي.فلكل طبقة ونوع ما يقابله،وكل هذا ينتج عن البناء التحتي والذي يؤثر و يتحكم علي البناء الفوقي

نتيجة لهذا نعتبر الفرد ثمرة لهذه العلاقات الاجتماعية،فهو إذن بريء من ذمته،لأنه لم يختر الواقع الذي يحيط به كما لم يساهم في إنتاجه ولا يقدر علي تغييره،و كل هذا ينتج حساسية ونظرة طبقية ،والتي تنعكس علي سلوك وفكر الفرد البطل .

فيرغم علي العيش مع المجتمع و ليس في المجتمع ،أين يواجه حواجز إيديولوجية واجتماعية و حينها يحاول الانسجام معها أو رفضها و التمرد عليها،و في هذا السياق يقول" بليخانوف" «إن الأفراد يمكنهم أن يؤثروا في مصير المجتمع بفضل الميزات التي يتسمون بها أحيانا يكون هذا التأثير علي قدر من الأهمية،ولكن إمكانية ممارسة هذا التأثير المرتبط بمداه يشكل تركيب المجتمع،وبعلاقة القوي المنبثة في داخله» [15]

«كما أن شخصية الفرد تعتبر مجرد عامل في التطور الاجتماعي، و هذا الدور

و العامل تحدد العلاقات الاجتماعية القائمة، بالإضافة إلي مواهبه و قدراته الشخصية فالنظام الاجتماعي يحدد الدور ثم الأهمية، و هذا ما يتطابق مع مفهوم التطور الاجتماعي.»[16]

فدور الأفراد سواء الايجابي آو السلبي مرتبط بشكل النظام الاجتماعي السائد.«فا الأفراد المتميزين ذو التأثير يستطيعون تغيير شكل الملامح التي تتسم بها الأحداث،و كذلك نتائجها الخاصة»[17]كنهم لا يستطيعون تغيير مسارها العام الذي تحدده قوي آخري.ولكي يحقق الفرد التغير يجب أن تتوفر لديه شرطين:

---

[15]الهوا ري أحمد إبراهيم: البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص14.

[16]المرجع السابق، ص16.

[17]المرجع نفسه،ص17.

الأول:أن تكون هذه الموهبة متوافقة مع الحاجات الاجتماعية أكثر من أي فرد أخر.

الثاني:إلا يقف النظام الاجتماعي القائم حجر عثرة في طريق الفرد الموهوب.

ومن المعروف أن الموهوبين العظام يظهرون في وسط اجتماعي ملائم لنموهم و« الإنسان العظيم لا يعد عظيما لما يتمتع به من صفات فردية تسم الأحداث التاريخية العظيمة،ولكن لأنه يمتلك قدرات تهيئ له مقدرة اكبر لخدمة المطالب أو الحاجات العظيمة لعصره،هذه الحاجات التي تعد نتاجا للأسباب العامة و الخاصة»[18]و يطلق "كارلايل" علي الرجال العظماء "المبادرون"لأنهم يتميزون بنظرتهم المتفحصة البعيدة و يبادرون لتحقيق الأهداف بوعي حر،وهذه الرؤية تكشف عن البطل المتمرد.

أما البطل الايجابي يسعي إلي خلق مجتمع جديد من خلال فهمه لطبيعة القوي المنتجة والمسير للمجتمع،و"كودويل"يوضح دور البطل الايجابي قائلا«إنسان يكون تأثيره علي بيئته اكبر بكثير من تأثيره عليه«.....»و هو يسيطر علي الأحداث لا لأنه يساير القانون الذي جاءت الأحداث نتاجا له«.....»و البطولة ليست شيئا ما يمكن أن يحدد من خصال شخصية البطل وحدها. بل أن الظروف هي التي تخلق البطل»[19] وجود الظروف و الأحداث الملائمة يستوجب وجوب استجابات و قدرات فطرية تحددها الوراثة،في بيئة معينة ،و كل هذا يؤدي إلي التفاعل بين العوامل الداخلية والخارجية،بهذا يتشكل وعيه و يستمر عقله في التطور و الإنتاج.

من المعروف أن كل فعل إرادي يحوي رد فعل مساو و مضاد في الوقت نفسه، فإن البطل بدوره يغير البيئة أثناء كل مرحلة انتقال تغيره هو.

و لإنسان مثل المجتمع يتكون من كيان نشط وأنظمة موروثة،فهو مخلوق تحكمه عوامل جسمانية و نفسية وشعورية وفطرية.« وهذه المتناقضات تتداخل بعضها ببعض في كيانه المادي،وهو في إطار الثقافة التي نشاء فيها مرن متجدد ،ثائر ممتص للواقع،ومن ثم فهو يشعر

[18]الهوا ري أحمد إبراهيم :البطل المعاصر في الرواية المصرية ،ص17.

[19]نفس المرجع،ص17.

بهذا التوتر بين الكيان الجديد الفكر القديم ،توتر يفضي إلي ظهور الفكر الجديد نتيجة لهذه المتناقضات» [20]

كذلك وظيفة الوعي الاجتماعي التي تلازم البطل و صلتها بطبيعة البشرية و السلوك الإنساني ،و يتشكل هذا الأخير بمفهومين لدي ماركس أولهما أن وعي الأفراد ليس هو الذي يحدد وجودهم،بل علي العكس وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم،ثانيهما يؤكد دور الإنسان باعتباره عنصرا واعيا حرا ومسئولا،فرغم إيمان ماركس بالوجود الاجتماعي للإفراد والذي يحدد وضعهم إلا انه لم يقصي إرادة الإنسان في التغيير فكتب عن "فيورباخ"«إن المذهب المادي الذي يقول بأن الناس هم نتاج للظروف و التنشئة،يغفل أن الناس هم الذين يغيرون الظروف وإن كان هذا لا ينفي أن وضع الإنسان الاجتماعي هو مصدر ألامه و أماله» [21]

أكد ماركس علي وجود الإنسان المادي يحقق وجودها بالجوانب البيولوجية و التشريحية والفسيولوجية الجانب النفسي أيضا.فمن الصعب الفصل بين الوعي الاجتماعي و الوعي الفردي. « فلا يمكن تصور الأنا أو الوعي الفردي إلا جزاء من النحن أو الوعي الاجتماعي ،وهذا ما صوره "كوولي"بالمرآة التي تطل النفس إلي ذاتها من خلالها» [22]

مع لإيمان بضرورة خلق التوازن بين الفرد و المجتمع،بحيث يكون الفرد مع المجتمع وليس في المجتمع،و الفرق بين مع و في هو الذي يحدد وضع الفردية والفرد.

الفلسفة الفردية المتطرفة والتي لا تحفل بذوات الأخر أدت إلي ازدهار الرومانسية التي استمدت وجودها من حب الذات المفرط و المغالاة في الشعور بأهميتها.و كان نتاجها الفني البطل البيروني و التي كانت علاقته بمجتمعه معقدة و متقلبة ،يراوده الشعور با الألم نتيجة عجزه عن الانتماء،حيث تحول البطل إلي إنسان متمرد،أهوج ،مستهتر،بعد أن كان عطوفا متهما بالاكتئاب.

---

[20] المرجع نفسه،ص21.

[21] المرجع نفسه،ص22.

[22] المرجع نفسه ،ص24.

«و البطل البيروني ،إنسان غامض ،في ماضيه سر ،يعيش بمعزل المجتمع،منفرد صامت لا احد يقترب منه،الدمار و الانهيار ينبعثان منه،لا يرحم نفسه و لا الآخرين،كما لا يعرف الأسف ،فهو لا يطالب العفو سواء من الله أو من الناس،وهو لا يأسي علي شيء،وعلي الرغم من حياته المدمرة،فانه لا يرغب في أن يفعل أي شيء يغاير ما عليه،و ما يفعله و ثمة سحر غامض يفوح منه» [23]

وهو كما وصفه "يانكولاقرين"«يمتاز عمن حوله بمواهبه و طموحه و قوة إرادته،ولكنه مع ذلك مجرد عن إي هدف ايجابي أو إي منهج،لذا فإن قوته لا تنقلب علي نفسه فحسب بل كذلك علي كل من يتصل به من الناس» [24]يمكن اعتبار البطل البيروني تعبيرا فنيا و ثمرة مادية للبرجوازية الثورية الصاعدة.وكما يعد نوعا اجتماعي يدل علي مرحلة تاريخية لتطور البرجوازية.

وقد كشف النظام الرأسمالي دعامته للبرجوازية، والتي جاءت بمبا داء سياسية واقتصادية واجتماعية، في نفس الوقت ظهرت مبادا مضادة لها.

وهذا أدي إلي ظهور نظامين رأسمالي و اشتراكي يقابله عالمين متقدم ومتخلف.والبطل هنا عليه أن «يجابه مشكلات التخلف الاجتماعي و الاقتصادي و التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية، فالبطل الذي يلازم التقدمية ثوري و الذي لا يلازمها انقلابي» [25]

فكلا النوعين نتاج وتعبير عن الواقع الاجتماعي القائم ،فا الأول يعبر عن قيم ثورية واعدة ونقول عنه بطل ثوري ايجابي،و الثاني يشي بما يعانيه المجتمع بالتالي هو بطل سلبي.

من هذا نصل إلي نتيجة مفادها أن البطل في الدول النامية يعاني من رواسب الاستعمار والعقد التي خلفها، و التخلف الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي و حتى العلمي لهذا كان موقفه«موقف الإنسان المتمرد علي واقعه، العاجز عن الانتماء له» [26]

---

[23]الهوار ي احمد إبراهيم:البطل المعاصر في الرواية المصرية،32.

[24]د،مراد وهبة:البطل في الدول الحديثة النمو ،مجلة الطليعة ،يناير1965،ص85.

[25]الهوا ري حمد إبراهيم:البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص36. .

إن تحول بناء الاشتراكية إلي نظام عالمي و اختفاء الفردية نتيجة لتغيير النظام الاقتصادي من اقتصاد تنافسي ليبرالي يمجد الفرد الفردية ألي اقتصاد احتكاري أسهم في تلاشي صورة البطل ،ومهد لظهور الرجل العادي بعد أن لم يكن موجودا«أصبح الرجل العادي قوة في الكبرى،فكان طبيعيا أن يجد فن هو في الرجل العادي،أي الفن الذي يصور حياة الكثرة المطلقة من أبناء الشعب،ويعبر عن ألامهم و أمالهم» [27]

المجتمع لا يستهان به، وأصبحت مشاكله اليومية و مشاكله ا لدائمة من مسائل الحياة

و المثقف في القرن التاسع عشر كان ينظر إلي بطولة الفرد الذي يرفع رأسه شامخا في وجه المجتمع علي أنها قيمة إنسانية عليا، وفي طبقته ومجتمعه عائقا يحول دون تأكيد فرديته وتحقيق وجوده.

أما المثقف المعاصر لا يملك نفس النظرة، حيث تلاشت البطولة و التقليدية من ذهنه وصار يتصور بطل من نوع جديد، بطل ليس فيه من البطولة سوي اسمها. «إن الفرد في عصرنا لا يمنه أن يطمح في إخضاع العالم لقوة شخصيته ولذلك فهو فرد بلا ملامح ،وعندما تعطيه وجها آو اسما فنحن نعطيه شيئا لا يقدم و لا يؤخر في وجوده» [28]وهذا ما جعل النقاد يطلقون عليه البطل الغير البطولي.

إن تطور صورة البطل في الآداب العالمية من شخصيات يمثلون كمال الفرد الإنساني إلي شخصيات من غمار المجتمع يرد في أساسه المادي و الفلسفي إلي التحول الذي تراء علي طبيعة الاقتصاد الدولي،والي الواقعية في الفن و الأسلوب العلمي في ثقافتنا،هذا ما أدي إلي تلاشي صورة البطل التقليدي و«هو نجم البطل الرومانسي،ولم يعد نموذجا يحتذي به فقد تداعت وجهة النظر التي تجعل الإنسان مركز الكون و التي تقدس الذات و تجعلها محور الأشياء،ولم يعد ثمة مكان للبطل الرومانسي الذي يحول الخارج في بساطة إلي طبيعة ليست في الحقيقة إلا تضخيما

[27]المرجع السابق، ص36.

[28]د، مراد وهبة:البطل في الدول الحديثة النمو، مجلة الطليعة، يناير1965، ص37.

لمشاعر الذات،ومجتمع يطغي عليها و يحرمها حقوقها الطبيعية وأصبح ينظر إلي المجتمع من خلال مشكلاته الخاصة»[29].

نتج عن تحالف الفكر الليبرالي و الاقتصاد الحر جماعة مضادة لها،واصطدمت فيه فكرة المنفعة الفردية بفكرة الخير العظيم،كما صاحب نمو الرأسمالية استغلال الإنسان في وسط آلي وبسبب هذا الأوضاع .

«اختفي الفرد لتلعب الجماعة أو الطبقة دورها و اختفت كل قيمة لدور الفردفي الوقت الذي تضخم شعور الفرد بفرديته مما نتج عنه المشاعر الطاغية بالاغتراب والعجز والانفصام» [30]ومن ثم فعصر الفردية الشامل سلم القيادة لعصر الجماعية الذي يهرب من الحرية، وهنا تكمن أزمة الإنسان المعاصر.

أما الواقعية فاهتمت بالحقيقة المادية طبيعي «ألا تنتج أبطالا علي الإطلاق،فالبطولة مهما يتنوع مدلولها ،فإنها لا يمكن أن تتفق مع الحتمية العلمية،و قد تصل أفعال البطل إلي درجة الخوارق ،ولكنها تحتفظ علي كل حال بقدر من الحرية هو الذي يجعلنا نشعر بالإعجاب بالبطل أو الإشفاق عليه،إن البطل الموضوعي بالمعني العلمي لا يمكن أن يوجد ،لان هذه الموضوعية التي ترضي عقولنا تمام الرضا لا تخاطب فينا شيئا غير العقل»[31].

مع أن البطل البيروني استمر في الوجود وأصبح«علي استعداد أن يكتشف أن القوي المناوئة له ليست هي القوي الشريرة ،بل ذاته التي تشربت قلقا من نوع جديد» [32]

كما أن البطل في الرواية الحديثة يصعب عليه التحكم في نفسه آو في عالمه و يطوعه لإرادته، لان لإنسان يدرك رغم وجود الوسائل العلمية و امتلاكه لعقل واعي إلا انه مازال يعيش في عالم مظلم.

---

[29] الهوا ري أحمد، البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص39.

[30]المرجع نفسه ،ص39.

[31]المرجع نفسه،ص40.

[32]المرجع نفسه،ص40.

فعدم الاستقرار و التذبذب انعكس علي العلاقات الإنسانية و علي الفرد المجتمع

«فنهاية الرواية الحديثة تتميز بالغموض و الإيهام،فبينما نري الرواية في الماضي تنتهي بالزواج أو بنهاية سعيدة تحل فيها الأزمة،نجد أن الرواية الحديثة تنتهي أما بالطلاق أو الانفصال أو الإحباط أو الانتحار أو بانفصال الفرد عن مجتمعه و اغترابه أو تنتهي و تبقي معلقة في انتظار حل لها» [33]

إن علاقة الفرد بالمجتمع حتمية و ضرورية، لا يمكن الاستغناء عنها فحاجة الإنسان إلي إقامة تواصل بينه وبين غيره، و شعوره بالرباط و التعايش، يجعل منه فرد فاعل يحي داخل تلك العلاقة و لا يفني فيهم.

إن رغبة و إرادة الشخص في التكيف مع وضعه الاجتماعي، هي التي تحدد نسبة أزمته وتشعب أبعادها، و منها تكون خصوبة شخصية البطل و عمق مأساته.

والبطل الاشتراكي ،الذي ينتج و يعبر عن المجتمعات الاشتراكية ، يكون بطل ايجابي لأنه يعبر عن رغبته في إقامة دعائم المجتمع الجديد والدفاع عنه.

أما البطل في الدول النامية ظهر بعد الحرب العالمية الثانية، محاولا التعبير عن مرحلة جديدة لتاريخ اجتماعي و فكري، يتصف بثلاثة ميزات هي:

-هامشية البطل:من ميزاته عدم إسهامه الايجابي في التأثير علي الأحداث و المواقف ويكتفي بدور المتلقي،فالأحداث يتلقاها،وهو يعيش علي هامش المجتمع،لا يقيم علاقات مع لأفراد ويفضل العيش داخل فراغ اجتماعي منطويا علي نفسه فاقد للقدرة علي التكييف مع ذاته ومجتمعه.

متأثرا بالأحداث لا مؤثر فيها، وهو في كل هذا لا يلقي اللوم علي نفسه بل يلقي التبعة علي الآخرين كما يصنع لنفسه رومانسية مريضة.ويلازمه شعور القلق وعدم الطمأنينة حتى يتم له اكتشاف فضاء يتنفس فيه وتظهر قدراته بحرية-تداعي البطل:وقع البطل المعاصر فريسة الصراع

[33] د،شكري محمد عياد:البطل في الأدب و الأساطير،ص151.

العنيف بين ماضيه وحاضره ومستقبله، فهو يمثل بطل متمزق و خائب، لأنه لم ينجح في إحداث التوازن، ففضل الانكماش علي الماضي بدل مواجهة الحاضر.

-اغتراب البطل:يقول "شونكيت""STONQUIST "في تعريفه للشخص الهامشي المغترب «شخص قضت ظروفه بان يعيش في مجتمعين و في حضارتين ليستا مختلفتين،فحسب بل متعارضتين،ويزيد علي ذلك "كرتشي" و" كرتشفيلدوبلانش"« إن الأشخاص المغتربين يحتلون موضعا بين جماعتين،لكل منها معاييرها و أساليبها الخاصة في الحياة،وهو موضع يحوطه كثير من الغموض وعدم التحدد.وفي الموضع تتنازع الشخص دوافع مختلفة بعضها يدفعه إلي الارتباط بأحدي الجماعتين،والبعض الأخر إلي الانتماء إلي الجماعة الأخرى،وفي الوقت نفسه لا تقبله أي من الجماعتين قبولا تاما» [34]

ظهور هذا البطل نتيجة احتكاك حضارتين كحضارة مادية علمية منتصرة وأخري آفلة مغلوبة.فالبطل هنا إما أن يحاول التماشي مع مجتمعه وظروفه بعدما فشل في الرفع منه،وأما يعلو عليه يرتبط بالطبقة المترفة،آو يعتزل مجتمعه ويحيا حياة الغرباء.

وهؤلاء الأبطال يمثلون البطل الثوري الرومانسي الذي ساد في فترة ما بين الحربين، وهو ثوري لأنه يتمرد علي مجتمعه، ورومانسي لأنه يفتقر إلي الفعل و القدرة علي التنظيم و القيادة.

ومشكلة الأبطال الغرباء هي مشكلة المثقف الذي ينتمي إلي دول نامية متحررة شكليا وسياسيا و تابعت اقتصاديا و ثقافيا.وهذا ما جعله يدرك«وهو يدرك انه غريب في داره وان الاستقلال السياسي ليس له مضمون طالما أن بلاده تابعة لدولة أخري تخطط لها أسلوب حياتها في تفكيرها وإيديولوجيتها» [35]وهذا التخطيط لديه مساندوه من الداخل والخارج،من طرف أيدي خفية وأخري ظاهرة.

إن تضافر عدة عوامل وتدخل وتشابك الظروف وتباين الغايات أدي إلي إنتاج نوع من الحساسية التي ضرت البلاد و العباد،حيث ظهرت مجموعة من الأفراد داخل المجتمع تتحكم في

[34]الهوا ري أحمد إبراهيم:البطل المعاصر في الرواية المصرية، ص145.

[35]المرجع نفسه،ص145.

مسار الأحداث كما تشاء خدمة لمصالحها الشخصية،وتسعي لتحقيق أهدافها بشتى الطرق ،فنجدها تتحكم في مردود الأفراد الفكري و السلوكي موجهة إياه لخدمة مصالحها،وهذا لتحكمها في كل الميادين الاجتماعية و الثقافية والاقتصادية.

وهذا ساهم في ظهور نوع جديد للبطولة وهوا لبطولة المضادة ،ونسميها مضادة رغم وصفها بالبطولة لأنها تحمل قيم معاكسة ومضادة لقيم الخير و الأخلاق ،فرغم تحكمه في مسار وصنع الأحداث إلا انه يوجهها لخدمة مصلحته الخاصة،علي حساب الغير،وهذا ما يجسده رضا شاوش بطل رواية دمية النار لبشير مفتي الذي يحمل بذور الشر و يعاكس معيار الأخلاق والخير في نفسه وثقافته سلوكه و أفعاله .وهذا البطل المضاد هو إنتاج لظروف خطط لها منذ أمد بعيد،وتم تجسيده في ارض الواقع بعدما هيأت له الظروف التي تساعده علي النمو و تحقيق غايته من وجوده.

نشير في الأخير «أن الرواية العربية تقف بالبطل عند مأزق لا حل له،لا اعني بأن الموقف مستحيل،إنما نجد السرد يتوقف عند المأزق و يترك البطل فيه،كما يعكس عجز الإنسان العربي عن تغيير الواقع ،لذلك فأن الأبطال يذهبون ضحايا تصديهم لهذا الواقع» [36]

أو لهذا «الأنين المكتوم من ثقل وطأة التقاليد الاجتماعية المحافظة علي نفوس الأبطال الذين حملت إليهم الثقافة المعاصرة و أجهزة الإعلام رياح التطور ،بكل ما يعنيه التطور من انفكاك عن الأسرة الأبوية ونمو في الفردية إلي الإنعتاق من التقاليد وهذا ما يجعل الأبطال يخرجون عن طورهم بالفعل،ويتمنون استعادة نفوسهم القديمة،ويتخلون عن نفوسهم الجديدة،وهم يقاومون هذا المخاض موسعتهم المقاومة،فليس يسيرا علي المرء أن يخرج عن نفسه و أن يتنكر لماضيه،أو يتنازل عما شب وشاب عليه،من عادات وتقاليد وسلوكيات اجتماعية وتوجهات فكرية» [37]

---

[36] المرجع السابق، ص325.

[37] د.صبحي محي الدين:البطل في مأزق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979، ص1و2.

3)إشكالية تحديد البطل في الرواية

المناهج الأدبية الحديثة ترفض التقسيم الكلاسيكي للشخصيات إلي شخصيات رئيسية وأخري ثانوية و شخصيات مسطحة و أخري مدورة ، في هذا الصدد يقول احد الدارسين« لم نعثر علي دراسة تحدد مفهوم البطل بشكل منهجي دقيق و لا علي طريقة واضحة لتضييق الشخصيات إلي شخصيات رئيسية و شخصيات ثانوية و لا يوجد مقياس لذلك إذ يحدث أن تكون للشخصية بطل علي مستوي الرغبة أو علي مستوي القول أو علي مستوي الفعل و لا شيء يثبت تموضعها الحقيقي أو علي العاطفة أحيانا و علي الميوع المنهجي في اغلب الأحيان »[38]غير أن هذا لا يعني انعدام تقسيمات فيما يخص البطل الروائي.

من الجانب النفسي علماء النفس ينظرون إلي البطل علي ضوء عقدة اوديب ، فهو تجسيد و ارتباطا بالعقد النفسية و لإمراض النفس من الجانب الاجتماعي البطل هو « مقياس لمدي شعور الإنسان بالاستقرار، أو مدي شعوره بالأزمة فشعور الإنسان بالاستقرار في علاقة الفرد بالأفراد الآخرين، و في علاقة الجماعة الإنسانية بالكون يعطينا بطلا محدود النطاق، محدود المشكلات »[39]

أما فيما يخص المدارس الأدبية فا لكلاسيكية مثلا تنظر إلي البطل من جهة نموذج لتلك العلاقات المستقرة في المجتمع و الطبيعة. لذلك نجدهم مستسلمين للقدر و لفساد الزمن.....كما لا يشعرون و لا يهتمون بما هو خارج عن نطاقهم فيمثلون الذات و الموضوع في نفس الوقت

« و عالم البطل الكلاسيكي هو فقط ما يسمح ذلك بوجوده .و لذلك فإن البطل يتحرك في النور. و لا يدخل في صراع مع قوة غامضة.و ماساته هي القرار الذي يصدره علي نفسه وحركته التي يسعي بها نحو هذه المأساة هي جدل العواطف التي تتصارع و تتشابك في تحديد ووضوح»[40]

---

[38]السعيد بوطاجين : الاشتغال ألعاملي ، منشورات الاختلاف ، ط1، 2000، ص40.

[39]شكري محمد عياد: البطل في الأدب و الأساطير ، ط2، دار المعرفة، فبراير 1971، ص148 .

[40]شكري محمد عياد :البطل المعاصر في الأدب و الأساطير ن ص40ن7: فريد انطونيوس: بحوث في الرواية الجديدة.

و في الأدب الرومانسي البطل ينضر إلي المجتمع من خلال مشكلاته الخاصة ويعكس البطل الشعبي الذي تقوم شخصيته علي ضالة مشكلته الخاصة مشكلات الآخرين.« فشخصية البطل البيروني رجل الأقدار ، المنفرد عن الأقران و الأنداد، الساخر من الحياة و الأحياء الضجر الذي لا يستقر في مكان و لا يطمئن إلي حب القدري الذي يلعب بالموت و الحياة الغامض الذي تنطوي حياته علي لا يبوح به لأحدي حبيباته الكثيرات »[41] و منه فا لرومانسية تنظر إلي البطل بكونه مركز الكون يحول الخارج في بساطة إلي طبيعة ليست في الحقيقة إلا تضخيما لمشاعر الذات.

أما الواقعية فهي ترفض تمييز البطل عن الشخصيات الأخرى و تعتبره فردا عاديا كباقي أفراد الجماعة، فترفض الذاتية و تتبني الإنسانية، فقد كان طبيعيا ألا تنتج أبطالا علي الإطلاق.....وقد تصل أفعال البطل إلي درجة الخوارق ، وقد تكون مجرد جراءة غير عادية في مواجهة القوي الخارجية و لكنها تحتفظ علي كل حال بقدر من الحرية هو الذي يجعلنا نشعر با الإعجاب با لبطل أو الإشفاق عليه. هذه التحديدات ارتبطت با الجانب الفني و الأدبي قبل أن ترتبط با لجانب النفسي والاجتماعي ، فكلمة PERSONNAذات الأصل ألاتيني كانت تعني القناع المسرحي المرتبط با التمثيل و الأداء المسرحي للأدوار . يقول "جيلفورد" «الممثل اليوناني كان يضع علي وجهه قناع يدعي PERSONNAلأنه كان يتحدث من خلاله .....يخلع ثوب الدور الذي يمثله أو ليظهر أمام الأعين بمظهر ز معني خاص »[42].ثم توسع استعمال هذه الكلمة لتشمل الممثلين عامة.

التعامل مع الشخصية كعلامة في الدراسات الحديثة منحت مفهوما أخر للشخصيات فخلصها من المقولة السيكولوجية تحيل علي كائن حي يمكن التأكد من وجوده في الواقع. «وعوض أن تكون مؤنسنة أي مقتصرة علي الكائنات الحية و الإنسان خصوصا و عوض أن

[41]شكري محمد عياد :البطل المعاصر في الأدب و الأساطير ن ص40ن7: فريد انطونيوس: بحوث في الرواية الجديدة.
[42]سامية حسن السعاتي: الثقافة و الشخصية ن ص 116.

تكون مقولة خاصة با لأدب وحده....إنها علامة فارغة أي بياض دلالي لا قيمة لها إلا من خلال انتظامها داخل نسق محدد، إنها كائنات من ورق علي حد تعبير بارث» [43]

هناك من المنظرين من ربط البطل با لوظيفة التي يؤديها في الرواية أو أي شكل سردي أخر،منهم "فلادمير بروب" واضع المثال الوظائفي، و الذي حدد احدي و ثلاثين وظيفة أساسية تظهر في الحكاية الخرافية الروسية.

أما" غريماس" قلص عدد الأبطال إلي ستة أطلق عليهم مفهوم العامل ، بمعني انه ربطها بمجموع الوظائف و المواصفات التي تظهر بها داخل المتن الروائي.

"فليب هامون"اعتبر البطل شخصية عادية مثل باقي الشخصيات « شخصية مثل الشخصيات الأخرى ، بإضافة واحدة ، ظاهرة مغالاة، تبئير بالنسبة للشخصيات الأخرى تطرح مشكلة البطل مشكلة درجة» [44]

تعدد الرؤيا و التصنيفات لشخصية الروائية، صعبة من مهمة تحديد البطل في الرواية فبأي مقياس و أي معيار يتم به تميز البطل في الرواية، خاصة مع تعدد المذاهب الأدبية وتطور النظريات النقدية، واختلاف الأذواق و الآراء.

3)-تلاشي البطولة:

أضحى الفرد في العصر الحديث ذو معالم غامضة،وسط حياة معقدة طغت عليها الأنانية و الرأسمالية و الآلية ،وانسجاما مع هذا الواقع فإن «البطل في النص الروائي لم تغب ذاتيته بقدر ما أظهر كفرا بها ،وبالقوي التي تسيطر عليه و تشتت قواه و طاقته،فعاني عدم الاستقرار مع نفسه ومع غيره،وما لبث إن انتقل هذا الواقع للمبدع الروائي،فتفتت القصة شكلا ومضمونا،وكذلك الشخصيات و الحبكة ،وأصبحت تلك الشخصية بلا كيان و بلا هدف و بلا أسماء ،فانتهت

[43] فيليب هامون: الشخصيات الروائية ، ترجمة سعيد بنكراد ، ص 12.
[44] المرجع نفسه،ص12.

شخصيات بلزاك و زولا و هنري جييمس التي اتسمت بملاحمها المحدد بكيانها النفسي وهدفها المحدد،ولقد أضحت لا شخصيات[45]»وهذا الغياب للشخصية له مبرراته السياسية والاقتصادية والتاريخية والتي أثرت علي الفرد والمجتمع ودفعته للتغيير،فانعكس هذا علي الأدب عامة و الرواية و مكوناته السردية خاصة الشخصية وما يقال عن الشخصية ينطبق علي البطل ،إذا أن الآراء الكثيرة التي سادت لدي النقاد و الروائيين حول فكرة البطولة أكدت حقيقة تلاشي البطل أو بطولة "ألا بطولة أو ما يسمي ضد البطل أو البطل" الناقص البطولة "وقد وصلت بعض تلك الأفكار حد المغالاة ،فذهب أصحابها إلي القول باختفاء الشخصية من النص الروائي،ممثلة بالأعمال التي تنتسب إلي مرحلة الرواية الجديدة في كتابات، نتالي ساروت و الان روب جرييه«فتم الحديث عن شخصية اختفت اختفاء تاما،وحل الشيء مكانها وكانت لتلك المرحلة قد سبقت بتحلل شخصية البطل في أعمال كافكا»[46]

أما" لوسيان غولدمان " أطلق عليه مصطلح ذوبان الشخصية و حدد لذلك

مرحلتين الأولي انتقالية« أدي اختفاء أهمية الفرد خلالها إلي محاولات استبدال السيرة بوصفها مضمونا للمبدع الروائي بقيم هي وليدة إيديولوجيات مختلفة،لأنه إذا كانت هذه القيم قد بدت في المجتمعات الغربية اضعف من أن تولد أشكالا أدبية محضة،فإن بوسعها علي وجه لاحتمال أن تقدم تتمة لشكل موجود في الأصل، وكان علي وشك أن يفقد مضمونه القديم[.....]

–المرحلة الثانية:التي تبدءا علي وجه التقريب مع "كافكا" لتصل حتى الرواية الجديدة المعاصرة التي لم تكتمل بعد،تتميز بالكف عن كامل محاولة الاستبدال البطل الاشتراكي والسيرة الفردية بواقع آخر وبالجهد من اجل كتابة رواية غياب الذات و عدم وجود أي بحث يتقدم»

و"غولدمان"«يطابق بين حقبتين كبيرتين في تاريخ الأشكال الروائية و المرحلتين الأخيرتين من تاريخي الاقتصاد و التشيؤ بالمجتمعات الغربية،يترك للواقع الإنساني ،فرصة التعبير وحده عن

[45]الهوا ري أحمد :البطل في الرواية المصرية المعاصرة،ص51.

[46]ينظر:عثمان اعتدال،البطل المعضل،مجلة فصول،مجلد2،ع2،1982،ص91،92.

نفسه ،وأستاذه" لوكاش"وفاء منه للمنظومة الأرسطية ،أكد علي ضرورة الحفاظ علي وجود البطل داخل النص و إحلاله المكان الملائم له»[47]

يمكن رصد أربعة مراحل لحركة الشخصية، تميزت في كل منها من حيث سماتها أبعادها وطريقة تناولها و موقعها في بنية النص الروائي و علاقاتها بغيرها من مشكلات النص.

المرحلة الأولي: قامت الشخصية بدور ثانوي بالقياس إلي العناصر التي تشكل العمل الروائي ،حيث خضعت لطبيعة الحدث الذي قام بدور أساسي في تحديد طابعها و أبعادها،و هذه الرؤية تمثلت في المأساة التي تقوم علي مبدءا المحاكاة الأرسطية.

المرحلة الثانية: «لم تتعد فيها الشخصية كونها اسما للقائم بالحدث لدي المنظرين الكلاسيكيين.

المرحلة الثالثة:احتلت الشخصية مكانا بارزا في العمل الروائي ،فتفوقت علي الحدث في بنية النص،و سخر لخدمتها في سبيل مد القارئ بمعلومات عن الشخصيات أو تقديم شخصيات أخري ،ما جعلها ضروريا لتلاحم السرد،وقد ساعد هذا الظهور ما ساد القرن التاسع عشر من شعارات تبنت فكرة حرية الفرد»[48]

المرحلة الرابعة هي المرحلة التي تمحورت فيها الأفكار حول تفكك الشخصية الذي أعلن عنه ،كما أشير مسبقا"الان روب جرييه"و"نتالي ساروت"و تلاشي البطل و اختفائه و ذوبانه كما أكد" لوكاش"وتلميذه"غولدمان "ولقد توسع النقد البنيوي ،فيما بعد في هذا المجال فلم ينظر للشخصيات علي أنها أكثر من فواعل،كما بين" بروب"أو عوامل كما اظهر" غريماس[49]

---

[47]ينظر :بحراوي ،بنية الشكل الروائيص209..

[48]ينظر :بحراوي ،بنية الشكل الروائي،،ص108.

[49]. ينظر :رولان بارت:مدخل إلي التحليل البنيوي،تر،منذر عياشي،1993،ص63،.65.

بذلك يمكن تأكيد«إذا كان النقد التقليدي يعتبر الشخصية كائنا من رحم و دم، مؤكدا علي وظيفتها الاجتماعية، فإن النقد الجديد، يراها كائنا من ورق، أو سبحة من الكلمات»[50]

لكن الآراء التي أثيرت حول اختفاء الشخصية ،والبطل منها ،لم تخف ظهور نماذج جديدة من البطولة،ما يؤكد وقوع البعض في الخلط بين تأكيد اختفاء البطل من الرواية،و تغيير ملامحه من جهة آخري،فإن كان الحديث عن البطل بملامحه التقليدية و حضوره لشخصية محورية في نص تحشد أحداثه و تسخر شخصياته لإبراز مواهب ذلك البطل و سماته،فإن مثل تلك الشخصية قد اختفت لتحل محلها شخصية ذات أبعاد جديدة بنماذج و أشكال مختلفة لان الشخصية من هذا النوع لم تعد ممثلة لإنسان هذا العصر بل ستغدو مقحمة عليه فكما أن لكل زمان و مكان خصائصه،من أحكام قيمية أخلاقية و سلوكية،فمن الطبيعي أن تتغير صورة البطل فما كان يعتبر عمل بطولي في فترة زمنية محددة لم يعد يحكم به بنفس الشيء في الفترة التي تلته،والحكم علي شخص ما ببطل قد يختلف الحكم عليه من منظور مجتمع و ثقافة أخري تشير يمني العيد إلي نقطة مهمة وهي عدم تفرد البطل في العمل الروائي، وهولا يمثل مركز انتباه القرء، كما أنها يتحكم في سرد لأحداث و الوقائع، فكل مكونات الرواية تساهم في تشكيله.

يمني العيد«ليس من بطل متفرد في حضوره و مكانته في مثل هذه النصوص ليس من بطل يستأثر بفعل القص، وبانتباه القارئ أو بوعيه، ليس من بطل هو محور الأفعال وبؤرة الأحداث والدلالات»[51]

وعوامل تغير البطولة التي لم يبق لها من البطولة التقليدية سوي اسمها في الشكل الروائي الذي أطلق عليه نمط الانجاز أي وصول البطل إلي هدفه ،يمكن حصرها:

1.الروح العلمية أو الواقعية الموضوعية اللتان لم تعودا تسمحان بظهور بطولة تقليدية أو ما يسمي بعبادة البطل التي تحتاج إلي مهمة كي تزدهر.

---

[50]فرسوخ احمد:جماليات النص الروائي،الرباط،دار الأمان،1996،ص.66.

[51]عيد يمني:الراوي، الموقع و الشكل، لبنان مؤسسة الأبحاث العربية،1986 ، ص86.

2.ازدهار الديمقراطية البرجوازية أو الغيرة علي الإنسان العادي.

3.تعاظم نفوذ الدولة الأثوقراطية وظهور فكرة الحرية.

إن تلاشي مفهوم البطولة أو تغيرها نتيجة لابد منها، نظرا لتغيرات التي تراء في شتي ميادين الحياة الاجتماعية و الثقافية و الفنية.

خاتمةالمبحث:

مما سبق تقديمه نلاحظ أن البطولة في الأدب عامة و في الرواية خاصة تغير مفهومها كما تغيرت معايرها وملامحها .وهذا ما جعل النقاد و المهتمين بحقل الرواية يتساءلون عن سبب هذا التلاشي للبطولة،واختفاء البطل.

فهل هذا يعود إلي عدم قدرة الروائي في خلق شخصيات أبطال متميزين ؟

أم انه يرجع إلي سبب تأثير العولمة التي صارت بديل للإنسان في كل المجالات فبدل أن تسمع صوت الإنسان الطبيعي تسمع ذبذبات صوتية تعكسه و تعيد إنتاجه التقنيات التكنولوجية المختلفة،وبدل أن يقوم الإنسان بإنقاص أخوه الإنسان صارت الوسائل العلمية الطبية تقوم بذلك كل هذه الوسائل حولت الأبطال و المصلحين و المفكرين و المتفردين إلي نسيا منسيا؟

أم أن اختفاء البطل راجع إلي تدهور السر ديات الكبرى؟

كما أن البطل خرج من بين صفحات الرواية ،ليجسد في قاعات و شاشات السينما،ولكن في المقابل نجد أن البطل السينمائي موجه للجماهير حيث تكون الغاية منه إرضاء و جذب الجمهور من اجل كسب الثروة و الشهرة ،مقابل الإثارة والمتعة،فالاستثناء الفكري والفلسفي والسلوكي لدي البطل السينمائي غائب.

هناك من يري في تقزم دور البطل وتلاشيه ،إلي مجالات الفرجة و المتعة ففي عصرنا نجد أبطال الرياضة و أبطال التمثيل التلفزيوني،و الموسيقي ،وحتى أبطال افتراضيين في وسائل الإعلام الآلي....بالمقابل نجد غياب للبطل الروائي، فما أكثر الأبطال و ما اقل البطولة الروائية.

صحيح أن البطولة تلاشي مفهومها الأسطوري، كما أنها احتكرت من قبل القادة السياسيين وتفكك مفهومها، لكن لم يختفي و لم يلغي في العمل الروائي، حتى وان اختلفت دلالاته وصيفاته و وظائفه.

الفصل الثاني

مجتمع الرواية

1)ـ الفضاء العام في رواية "دمية النار"لبشير مفتي:

بشير مفتي في روايته دمية النار يسرد لنا أحداث رواية سيرة ذاتية، بداية بتقديم نفسه كمتعلم و شغوف بالقراءة و حب الأدب، ولقاءه ببطل روايته" رضا شاوش "الذي كان هو الأخر يعشق لأدب و يحلم بأن يكون أديب، لكن حلمه لم يتحقق فسلم لبشير مفتي مخطوط يسرد فيه حياته التي كانت بسيطة و معقدة في نفس الوقت .

الزمكانية في الرواية تجسد فترة الثمانينات و ما يميز هذه الفترة من غموض و مخاطر حيث كان "هواري بومدين" رئيسا للجزائر.تدور أحداث هذه الرواية في الجزائر العاصمة و با الضبط في حي بلوزداد ، أين يقطن بطل الرواية المسالم و المستسلم في البداية كاره للعنف والقسوة منذ راء أباه يضرب أمه ، و شرير منتقم بعدما وشأ "برانية مسعودي" لأخيها التي كان يحبها ورفضته لأنه تكبره بعدة سنوات وتحب رجل أخر"محمد"، ومجرم معتدي بعد اعتداءه علي "رانية" بعد زواجها وقاتل بعد عمله كعميل سري.

الروائي يصف فترة خطيرة في تاريخ الجزائر و ما خلفته من ضرر علي البلاد و العباد حيث التمزق الذاتي و الانقسام الجماعي ، وما مدي تأثير الأوضاع الخارجية و الداخلية علي الفرد وطباعه و تفكيره و سلوكه ، حيث بدأت أولي عقده في بيته حيث الأب قاسي و منغلق علي نفسه ، الذي كان يشغل منصب مدير في السجن.

وتطرق إلي السياسة و السياسيين و المؤسسات المختلفة و كيفية تسيرها حيث أشار لكل هذا حينما كان يعمل كمحاسب في مصنع، وكعميل سري لدا جماعة الخفاء.

كما تتناول الرواية قضية الهوية حيث كان "رضا شاوش" يسال نفسه كل مرة عن هويته بعد ارتكابه للجريمة.

كما يصور أزمة المثقف في بلادنا بأمانة.

الشخصية الرئيسية:

وهي التي تحظى بالوصف الدقيق لكل جوانبها الجسدية و النفسية، وكذا علاقاتها مع باقي شخصيات الرواية، كما أن الأحداث تدور حولها وهي الشخصية البطلة.أما بشير مفتي في روايته دمية النار فقد عمد إلي اتخاذ" رضا شاوش" بطل لروايته حيث يسرد حياته و أعماله والواقع الاجتماعي و السياسي الذي نشاء وتطور فيه حيث .« التصوير الحياتي المادي الأمين لدقائق الحياة اليومية لأفراد و الجماعات ،في اختلاف تحركها وتنازعها[....]لان ذلك هو الواقع بعينه والمثال الذي تقاس عليه الأشياء و تتصل به النفوس،وتستعيد ما كانت عليه و تترقب ما تؤول إليه في مقبل الأيام» [52]

وقع الاختيار علي شخصية "رضا شاوش" لتقوم بدور البطولة "ي رواية'دمية النار" لـ بشير مفتي"لهذا نجد الروائي يتتبعها في كل مراحل حياتها ،وكذلك يتابع سلوكها و تحولاها وحتى الأحداث و المواقف التي تظهر فيها .كما سخر له شخصيات تساعده في الظهور و التطور

و أشار في البداية إلي غموض تلك الشخصية ،و استعان بتقنية التمويه لتقديم شخصية البطل.

شخصية "رضا شاوش":ولد في حي "بلوزداد بالجزائر العاصمة "سنة 1960،نشأ وسط عائلة متوسطة الحال متكونة من أب وأم خمسة ذكور وستة بنات وكان اصغر إخوته.

كان متفوق في الدراسة ويحب قراءة الكتب خاصة الأدبية منها وبتشجيع معلمة العربية زاد تعلقه بالفن والأدب، ورغبته في كسب ثقة والده دفعه للاجتهاد وهذا من اجل تخلصه من جبروته وقسوته.

[52]ياسين الأيوبي،واقعية الأدب في رواية أنا كارنينا لتولستوي،الدار النموذجية،بيروت ،ط1،2001،ص19 .

«....ولعلي ما كابدت مشاقة التعلم سنواتها إلا تحت تأثير جملته تلك،أن يثق في والدي،فهذا كان بالنسبة لي الضمان الوحيد لحريتي ،لعدم ضربه لي إن أخطأت أو أفسدت» [53]

في المقابل اكتفي بحنان أمه التي كانت تغمره بالود و الحنان«واكتفيت حينها بحنان أمي الرقيق،وما كانت تفعله من اجل حمايتنا نفسيا من قهر زوجها الغليظ»[54]

في صغره كان يحب أن يمشي مع أخاه الكبير أين يتشبث به ويجول في أحياء العاصمة. ويذهب مع أمه للجبانة التي تقرب من بيته وبالضبط بحي" العقيبة "كل يوم جمعة ويلعب مع من تحضرهم أمهاتهم .

كان يتميز بملامح دقيقة ومثيرة للحيرة ،ويطأطئ رأسه كلما حاول احد التدقيق في النظر إليه،وهو يملك جسم مستقيم وذو عينين باردتين حذر في تعامله مع الناس و يكتم أسراره بالكاد يعرف عما يفكر يبدو مثل الشخصيات الروائية التي تملك ماضيا معقدا وتجربة مرة في كل شيء .

درس في ثانوية الأمير عبد القادر وكان حينها يعمل في مكتبة عمه السعيد أين يقتات منها ويطالع الكتب في نفس الوقت بثانوية، لكنه لم يواصل دراسته لظروف عاشها ،ولعلي موت أبوه اثر عليه.

انخرط ضمن جماعة السرداب لمدة قصيرة حيث كان عمره خمسة عشر سنة، عمه العربي هو الذي دله علي الجماعة التي لم يمكث فيها طويلا لأنه دخل بدافع الفراغ.

العربي كان قريب منه ويعتبره كأب له حيث يزوره ويستأنس بوجوده ويحكي له أسراره وحتى أفكاره.أما عدنان فكان صديقه الوحيد تقريبا منذ كان في عمره عشرة سنوات

ويحب ويحلم بحب "رانية مسعودي "منذ طفولته جارته التي تكبره بثلاثة سنوات«رانية التي تكبرني ثلاثة أعوام» «احبك....نعم احبك، وأنا مستعد في سبيل هذا الحب أن اقتل

[53]الرواية، ص26.

[54]الرواية، ص24.

الجميع....أيامها لم أكن اعرف ما هو الحب، ولكن صورة رانية كانت هي مختصر الحب وجنونه المتوحش»[55].

أما علاقته بولده فلم تكن علي ما يرام حيث كان يعاني من عدم وضوح مشاعره نحوه فمرت يكرهه لأنه كان يضرب أمه و ينهرها و لأنه قاسي ومرة يحبه لأنه رجل قوي يحب الانتساب إليه ويكرهه في نفس الوقت«مشاعري نحوه متناقضة أحبه واكرهه،واحترمه،ارغب في الانتساب إليه وامقت ذلك الانتساب ،كانت لدي أسئلة كثيرة و لم أجرؤ حتى علي طرحها....» [56]« رأيت أبى مرة يضرب أمي ضربا عنيفا[....] لم أتذكر قط سبب الضرب،وسبب كل ذلك العنف والصراخ والعويل،والبكاء، واللحم الأحمر والدم النازف،والوجه المهان» [57]سبب هذا الموقف الم عاني منه لسنوات ولم يستطع التخلص منه فكانت نتيجته عقدة نحو والده و العنف نحو المرأة.

«أتذكر فقط حالة الألم الذي سببها الموقف حينها بداخلي ،كما لو انه خلق منطقة صامتة،وجرحا لا يبرءا.....كتمت غيظي وبقيت أحس بشيء لا تفسير له،مرضي بالتأكيد ،عقدة خاصة وخالصة،معقودة بحيث لا نبرأ منها بسهولة»[58].شغل منصب محاسب في مؤسسة خاصة يمتلكها طارق كادري

بعدها انظم لجماعة تعمل وراء الستار تحسنت حالته المادية بعد أن أصبح عضو في تلك الجماعة فصار له سائق خاص و يملك بيت في أعالي "حيدرة "،أما حالته النفسية أصبحت متدهورة ،فكل يوم يفقد إنسانيته وأخلاقه وحتى مبادئه. »يسكن في بيت بأعالي حي حيدرة،وله حتى سائق خصوصي،ولكن من الداخل هو دائما في حالة الم» [59].

هكذا أراد بشير مفتي أن تكون شخصية البطل، لهذا رسم لها طرق و مسالك لتتطور وتنموا داخلها،كما خلق لها شخصيات معارضة وأخري مساندة،لتدفع بها و تساهم في إظهارها.

---

[55]الرواية، ص29.

[56]الرواية، ص25.

[57]الرواية، ص25.

[58]الرواية، ص25

[59]الرواية، 16ص.

كما تناولت الرواية قضية الدين وفهمه والعمل به، فكريم أخ" رانية "الذي كان عنيف وقاسي معقد، تحول إلي داعية متعصب بعد خروجه من السجن أين التق با الشيخ أسامة ، وشعر بالخيبة بعدما فقد السيطرة علي أسرته.

في الأخير يشير "بشير مفتي "إلي خلل مسار تسير البلاد و العباد، حينما ذهب لإقناع ابنه لغير شرعي من "رانية مسعودي" الذي صعد إلي الجبل فقال له « لقد حكمناكم خطاء وعارضتمونا خطاء »[60]

فرواية"دمية النار" تتناول عدة قضايا مهمة و خطيرة، فهذه القضايا تجسد كل عضو إذا لحق بأي عضو خلل مس كل هيكل الدمية و اشتعلت في كل أجزاءه.

تمنح الرواية أهمية كبيرة للمحيط العائلي ،وهذا نظرا لحساسيتها و أهميتها في تشكيل شخصية البطل وكذا تبيان تأثيرها علي البطل لذا اختار الروائي أن تكون أمه و أخوه مصدر الحنان والرعاية،محاولا بذلك وصفهم كقوة لجذب البطل"رضا شاوش" لطريق الخير .

أما والده فقد جسده شخص سالب في حياة البطل رغم صلة القرابة،فهو جسده كتمثيل لقوة الشر التي ورثها البطل عنه،و ترعرعت داخل جماعة أخري،كما تعمد الروائي إعطاء لوالد البطل تلك المهمة السلبية لكي يبرر بعض أفعال البطل المضادة لقيم الخير والأخلاق .

أحاط الروائي "بشير مفتي"في روايته دمية النار بكل مكونات المجتمع من عائلة و حي ومدرسة وحتى الدولة،فالشخص البطل يحيا حياة اجتماعية واقعية،ونظرا لحساسية و ضرورة وجود العائلة في حياة أي شخص ،ودورها في تكوينه و توجيهه ،لهذا راعي في اختياره وخلقه لشخصية والده،لان أي طفل هو صورة لأبيه.

شخصية والد الطفل حضت بالاهتمام الكبير من قبل الروائي،وهذا نظرا لدورها في تبيان وتنامي شخصية البطل،فكان مرجعه و ومبدأه في الحياة،فكل مرحلة يكون حضور والده بطريقة

[60] الرواية، ص166.

مباشرة أو غير مباشرة،وهذا ما جعلها حاضرة في السرد من بداية الرواية حتى نهايتها،فرغم اختفاءها في بعض الحالات إلا انه تظهر ب لاوعي البطل أو في تفكيره أو سلوكه.

1-"شخصية والد "رضا شاوش": وجهه اسمر وطويل القامة وانفه طويل ويمتلك نظرة حادة و عينان مدورتان سوداء اللون،ترعرع في حي القصبة في العشرين من عمره تزوج ،حيث كان يعمل عند فرنسي كحارس ليلي وبعد الاستقلال عمل في السجن وبعدها كمدير له«ترقي أبي في عهد بومدين إلي مدير سجن» [61]

كان الجميع يهابه داخل البيت وخارجه،كان آمي ويؤمن بالخبرة،لا يخالط الناس وكتوم

وكان من مدافعي الرئيس الراحل بومدين ونظامه«كان أبي يحب خطب الرئيس بومدين.....كان رجلا يؤمن بذلك الزعيم ويصدقه،ويدافع عنه ويعتبر نفسه جنديا في خدمة تعاليمه...» [62]

في سنواته الأخيرة من عمره صار ودودا مع أفراد عائلته خاصة مع زوجته التي كان يضربها بسبب وبغير سبب ،كما تظاهر بالجنون قبل موته هربا من الجماعة التي كان يعمل من اجلها وحينما صحا ضميره وعرف انه لا يخدم البلاد بل فئة خاصة«لقد تغير سلوك والدي عما كان سابقا قبل وفاته بسنوات وتغير مسارات الحياة،...لم يعد أبي كما كان في البداية عنيفا جدا صارت له علاقة جميلة بأمي، مرتبطة بحنان خاص، يحن عليها ،يمازحها أحيانا» [63]

لم يكن يعامل أبناءه بحنان فهو لا يشبه باقي الأولياء في تعاملهم مع أولادهم فهو يكتفي بالقيام بالواجب فقط «أما أبي فلا أتذكر كم مرة صحبني معه خارج البيت،وكانت المناسبات دائما محددة،عندما امرض يأخذني للمستوصف كي أعالج،ومرة كان لهدف أخر ارتبط بذكري ختاني،.....عدم قدرتي حتى الجلوس إلي جنبه مثلما يفعل الآباء مع أبنائهم»[64]خلف ستة أولاد

---

[61]الرواية، ص29.

[62]الرواية، ص29.

[63]الرواية، ص31.

[64]الرواية، ص26.

وخمسة بنات ،قتل من طرف الرجل السمين بعد أن دفعه من طابق البنية عن عمر يناهز الرابع والخمسون.

لم يكن بطل الرواية علي وفاق مع والده رغم انه لم يتعارض معه مباشرة لكنه طوال حياته كان ينبذه،وينبذ فيه أخلاقه و سلوكه الداخل البيت حيث يمارس العنف ضد زوجته و أولاده،وهذا شكل عقدة انفصال بينهما.

كما انه كره تلك الحياة التي كان يحيها لوحده، بعيدا عن المجتمع وحتى عن عائلته، فلم يحس بأحد من حوله، كما أن من هم حوله لم يحسوا به، ولم يخالطوه، وحتى عمله في السجن كان يثير فيه شعور الاشمئزاز و الكره

لاختلاف أمر طبيعي في الحياة،و تعدد الأفراد داخل عائلة واحدة سيمت مجتمعاتنا العربية،لهذا حرص الروائي العناية بوصف العائلة و مكوناته البشرية من إخوة و أخوات،ووصف العلاقة بين الأخ الكبير و الصغير،باعتبار الأخ يرعي أخاه و يحرص علي سلامته و راحته.

فالروائي صور لنا أخ الكبير للبطل،وهو يرعي أخاه البطل و يوليه الاهتمام عبر كل مراحل حياته .ساعيا بذلك لإعطاء المعني الحقيقي للأخوة.

2-"شخصية احمد": أخ رضا شاوش" الكبير و المفضل لدا والده،لأنه كان مطيع له رغم غطرسته في الخارج إلا انه كان يظهر أمام والده مطيعا جدا ،كان ظله الذي يتبعه في البيت و خارج البيت.

عندما توفي والده وكبر خلفه في مسؤولية البيت و العمل لقد كبر و تحمل المسؤولية، النظام أعطاه فرصة ليخلف والده في المنصب نفسه.

ورغم عمله في السجن إلا انه لم يكن يملك شخصية والده الحادة والقوية«....ورغم عمل أخي في الزنزانة إلا انه لم يكن يملك شخصية والده الحادة والثاقبة، والتي كانت تجعل الجميع يهابون منا....» [65]

عاش بضمير مرتاح،لأنه قام بواجبه نحو عائلته و نحو أخوه الصغير "رضا شاوش" و لم يظلم احد.

كان احمد يولي لآخاه الاهتمام و يتعامل معه بلطف،عملا ب لقاعدة التي تقول (الصغير يوقر الكبير ،والكبير يحترم الصغير«أخي احمد كان فيه لطف و ليونة،كان حنونا إلي حد ما،أكثر من أبي،لم أكن إلجاء إليه في شيء إلا و ساعدني فيه»[66]

كان يريد من "رضا "أن يتعلم و يتفوق في مساره العلمي بعيدا عن عالمه و عالم أبيه و ما يشوبه من غموض و متاعب ،لأنه رأي فيه حب القراءة و الأدب«كان يتمناني متعلما،أبحر في طريق المعرفة ولا التفت للوراء،أرادني عكسه تماما:أن لا أكون شبيهه و لا شبيه والدي؟» [67]

رغم انه خيب أمله حينما ترك" رضا شاوش" الدراسة إلا انه بقا حنونا معه يحرص علي راحته وراحة باقي أفراد العائلة«...لقد وقف إلي جانبي،و أنا شاب و دافع عني عندما استوجب الأمر دفاعه عني،كان يخوض معارك هامشية لحمايتي،و كان يبدو دائما كمن يضحي بأغلى أيام حياته منا اجل العائلة ،من اجلي بشكل خاص.....» [68]

---

[65]الرواية، ص 84.

[66]الروية، ص 25

[67]الرواية،.،ص 85.

[68]الرواية، ص 85.

الأم كما البلسم علي الجرح، و هي مصدر الحنان والعطف لأولادها، تتحدي كل الصعاب

و تتحمل مختلف الأعباء، كما تضحي بالنفس و النفيس من اجل عائلتها و أولادها.وهذه هي الصورة التي وضعها الروائي لام "رضا شاوش"فخلق له أم حنون تعوضه عن الذي يفتقده عند والده.

3)-شخصية أم "رضا شاوش":تزوجت عن عمر لا يتجاوز الرابع عشر،وهي من" أزفون" خلفت احدي عشر طفل من بينهم ستة ذكور و خمسة إناث،حنونة مع أولادها ماكثة في البيت تعاني من قسوة زوجها الذي يمارس عليها العنف الجسدي والفظي ،لكنها لم تسعي لتغيير الوضع وبقيت خاضعة للوضع.

«رأيت أبي يضرب أمي ضربا عنيفا وهو يصرخ بهذيان في وجهها....لم يكن ذلك الضرب بالشكل الذي يمكن تصوره الآن، كان ضربا غريبا يشبه التأديب....» [69]

كانت تزور المقبرة مع نساء حيها وتصطحب ابنها رضا الذي لم يتعدي سن الخامسة من عمره حيث التقاليد هي التي تفرض عليها أن لا تخرج من بيتها إلا بصحبة رجل،«كنت اذهب مع أمي للجبانة القريبة من منزلنا...كان والدي يشترط عليها أن تأخذ معها ذكرا ما من أبناءها عندما تخرج كانت تلك هي القاعدة،فلمراءاة لا يصح لها أن تخرج لوحدها وعلي الطفل أن يثبت بما لا يدع أي مجال للريبة أنها متزوجة» [70]

بعد موت زوجها حزنت اشد الحزن و ارتدت الحجاب الأبيض و كانت تقرءا القرءان باستمرار«بكت أمي كثيرا يومها ،بكت كما لم أرها تبكي في حياتها قط» [71]

بعثها "رضا شاوش "للحج عدة مرات كانت أمنيتها الوحيدة قبل وفاتها أن تري ابنها رضا متزوج فلم تتحقق لها أمنيتها.

---

[69]الرواية، ص25.

[70]الرواية، ص25.

[71]الرواية، ص 28.

أم البطل كانت الملجأ الوحيد له،حيث يتدفأ بحنانها وعطفها،و يكتفي بذلك في طفولته،فعلاقة البطل بأمه قوية و صادقة،حتى في كبره كانت تفهمه و لا تمارس عليه الضغوط،وتسعي دائما لنجاحه لان نجاحه هو سعادتها،لهذا نجدها تنصحه بضرورة الاستقرار في الحياة.

لقد صور مفتي بشير صورة المرأة المناضلة و التي تضحي بكل شيء من اجل الحفاظ علي بيتها وهذه هي الميزة التي تميز المرأة الجزائرية خاصة والعربية عامة.

كما يغفل الروائي عن أمر مهم في حياة الإنسان عامة ،وفي حياة المراهق خاصة أهمية وجود الصحبة و الصداقة،ففي هذه المرحلة يتراء علي الفرد المراهق عدة تغيرات،الفكرية والجسدية النفسية.وفي بعض الأحيان يبقي المراهق حائرا و مشوش أمام أسئلة و أفكار،وسلوك يقوم بها،دون القدرة علي التصريح بها حتى لأقرب الناس إليه ،وهو والديه.

لهذا أحاط الروائي بشخصية "رضا شاوش" شخصية قريبة منه،كان يثق فيه و يتقاسم معه كل شيء،كما انتبه الروائي لبعد والدي "رضا شاوش" عنه لذا من الضروري أن يجد خارج المحيط العائلي من يفهمه و يتواصل معه،فكان عدنان هو الشخصية التي اختارها بعناية ليكون الصديق الوحيد والمقرب ل "رضا شاوش"و المصاحب له في كل مراحل حياته في الرواية.

4-"شخصية عدنان":

هو صديق "رضا شاوش" منذ سن العاشرة، كان مركسي و يؤمن بقدراته الفردية فلا يعتمد علي احد «كان عدنان ماركسيا كما يقول عن نفسه،ماركسي فرداني يؤمن بفرديته كثيرا..» [72]عاش حياة تعيسة جعلته متذمر من الواقع لكنه بقا متمسك بمبادئه و مواقفه التي يصرح بها في كل مرة «كان صديقي عدنان يسرح بتفكيره إلي بعيد ،وهو يقول لي : "نحن أبناء التعاسة لقد جئنا للحياة

[72]الرواية، ص45.

كي ترفضنا السماء،وتسحقنا الأرض»[73]شغل منصب أستاذ في الجامعة،ثم ترك "الجزائر" وهاجر إلي "فيينا "ثم استقر في جنيف

كان يحب بلاده و يكره النظام يحلم بالثورة و التغيير«شعبنا لن يسكت، و ستري أن التغيير الحقيقي سيحدث. ثورة الشباب ليست إلا البداية» [74]

يضع فيه" رضاشاوش" ثقة كبيرة حيث يحكي له أسراره و أموره الخاصة،فكان يحكي له عن تعلقه "برانية مسعودي"و وشايته لها لأخيها «كان الوحيد الذي استطيع التكلم معه في أموري الخاصة»[75].

وهذه الثقة جعلته يحافظ علي علاقته به، فكانوا علي اتصال دائم،كما انه ساعده علي الحصول علي منصب عمل في مؤسسة "طارق الكادري".

رغم تغير "رضا شاوش"بعد انضمامه لتلك الجماعة حيث فقد حينها كل معالمه التي كانت تربطه بماضيه ،و انقطاع صلته بمنابع الخير،راح يبحث عن صديقه"عدنان"محاولا تسريب له بعض ما يجري و ما يخطط له من اجل تسير البلاد و العباد لصالح فئة معينة وخفية،و هذا البحث يدل علي حاجة "رضا شاوش"للحديث إلي شخص يثق فيه،فكل الذين كانوا يحيطون به لم يضع فيهم الثقة.

عدنان هو الأخر يمثل الصديق الوفي،لأصدقائه و لنفسه،فرغم نجاحه و مكانته،حافظ علي أصدقاءه كما انه لم يخن ما كان يدافع عنه و يؤمن به،كما انه لم تغريه السلطة و النفوذ،لهذا اختار الهجرة علي أن يعيش خادما خائنا .

كما انه يمثل أخر بذور الثقة و الاطمئنان لشخصية "البطل"فرغم كل ما حدث و يحدث بقا محافظا علي ثقة "البطل".

---

[73]الرواية، ص45.

[74]الرواية، ص 45.

[75]الرواية، ص29.

ظهرت شخصية عدنان كشخصية تربطها علاقة حميمة مع البطل "رضا شاوش" ،لم يتراء علي علاقتهما الحميمة أي تغير رغم اختلاف وجهات نظرهم في الحياة.

5-"شخصية العربي":

استغل الروائي حادثة و موقف "رضا شاوش"أمام والده و الأشخاص الذين كانوا يتحدثون عنه بالسوء،لتظهر شخصية العربي بعدها. و هو رجل متقدم في السن لم يتزوج وليس له أي ولد،كان مجاهدا أيام الثورة ومعارضا بعد الاستقلال و دخل السجن بسبب معارضته وانتقاده للنظام،«انه كان مجاهدا أيام الثورة،ومعارضا بعد الاستقلال و ،ودخل السجن وشرد،وعذب،وغير ذلك،وانه بقي وفيا لمبادئه هو معارضا لخصومه،ومنتقدا للنظام» [76]كان يعمل في الصيدلية بعدها انتقل لتصليح الأحذية بسبب تأميم صيدليته،وعاد إلي مهنته بعد نهاية السبعينات ،وكان متفتحا ومستمع جيد و شهم،وهذا ما سمح له بإقامة علاقات صداقة مع مختلف الفئات بمختلف اتجاهاتهم،و كان يستقبل ضيوفه وأصدقاءه الشباب في بيته أين يتبادلون أطراف الحديث ويشربون أو كانت علاقته ب"رضا شاوش" قوية حيث عرفه وهو صغير حينما نقل لأبيه ما سمعه من حديث يدور حوله،حيث غضب أباه واصطحبه معه لكن رضا لم يشي بالذي أساء الحديث عن والده و بقي صامت و هذا ما جعله يفقد ثقة والده به،بالمقابل كسب إعجاب و احترام العربي وشكره علي موقفه «كان أول من شكرني علي فعلتي رجل يعمل في إصلاح الأحذية بحي "العقيبة".....تعرفت عليه، وصار بمثابة والدي أيامها» [77]

و "رضا شاوش"بدوره أعجب به و صار يزوره و يتبادل معه أطراف الحديث ،و يستفيد من مواقفه في كل الميادين ،السياسية و الاجتماعية....كما اعتبره معلمه السياسي وأباه الروحي«كان عمي العربي هو معلمي السياسي وأبي الروحي،وفي تلك البدايات الأولي كنت

[76]الرواية،ص33.

[77]الرواية، ص34.

أصغي إليه كمرشد حقيقي،كان نقيض أبي في كل شيء،وكان عكسه يتكلم عن الزعيم بطريقة فيها النقد ألالاذع والسخرية الحقودة» [78]

أعطي الروائي لشخصية قيم سامية كحبه للحرية ونبذه للدكتاتورية حيث كان مجاهدا من اجل الحرية و معارض ضد الظلم يتكلم بصدق حقيقي و بروح إنسانية عالية. كما انه يتميز برزانة العقل و الوفاء لما يؤمن به، وكانت نظرته للحياة متفائلة،ويري أن جمال ومتعة الحياة تكمن في حب الناس والعيش في سلام .

كل هذا الصفات الحسنة التي تميز بها شخصية "العربي" جعلت "رضا شاوش"يعجب ويتأثر به،لأنه كان يجد فيه ما لم يجده في والده ،من حب الناس له و حبه لهم،و تمسك في المبادئ والوفاء لما يدافع عنه و يؤمن به ،و العيش بحرية بعيدا عن الخضوع و الضغوط،فكل هذا جذب" "رضا شاوش "و أشعره بالسعادة و عرفه علي وجه أخر للحياة ،وصنف أخر من الناس يختلفون عن الذين عاش معهم و ينتسب إليهم.[79]

فصداقة "رضا شاوش" با"لعربي" كانت له الأثر الايجابي علي شخصيته و سلوكه وفكره،حيث صار يعرف أمثلة واقعية صالحة لان تكون قدوة في الحياة .فتعلم الإخلاص للمواقف و التمسك بالمباداء،كما زرعت فيه بذور الخير،والتعامل الإنساني الذي يؤمن للفرد العيش بسلام وسط محيطه.

أخذ الروائي احد النماذج الموجودة في ارض الواقع، والتي لم ترضي بما هو موجود ومفروض، لذا سعت لتغيير في البداية وبفشلها التزمت الصمت والرفض في نفس الوقت فعاشت بمعزل عن العالم متخذتا عالما خاص بها. وهذا ما يجسده شخصية العربي المجاهد والمعرض في نفس الوقت، كم انه يمثل بعض النماذج القوية و الفريدة التي بقت نظيفة و بريئة، رغم دنس ما يحيط بها.

---

[78] الرواية، ص34.

بالإضافة لتصوير الروائي" بشير مفتي"لعائلته و أصدقاءه اهتم كذلك بتصوير جيرانه ونوع العلاقة التي كانت تربطهم به، وكذا تأثيرهم في مسار و دفع الأحداث و تحول و نمو شخصية البطل، ومن بيت هؤلاء الجيران الذين ذكرهم الروائي نجد:

6- "شخصية سعيدة ":

جارت رضا شاوش تعمل خياطة في منزلها لديها سبعة أولاد زوجها مقران توفي خلال الثورة ،وهي التي تعيل أولادها،«جارتنا سعيدة "سعيدة"التي كانت تعمل خياطة في بيتها،معتمدة علي نفسها في تربية أولادها السبعة بعد وفاة زوجها مقران خلال الثورة» [80]

الحب والإعجاب والتجاذب بين الطرفين شيء طبيعي،فكل واحد يبحث عن من يكمله ،وكون الروائي أحاط بكل مكونات التي تحيط بالشخص،لم ينسى ذاته و طبيعته،فجعل من "رانية"جزاءه الأخر الذي يبحث عنه،ورانية هي الأخرى ظهرت في متون الرواية علي طول،كما ظهرت في اكبر المواقف الهامة حيث العقدة و الأحداث بلغت ذروتها،و عملت علي تحول البطل وإظهار حقيقته،وهي بمثابة حاجز كلما اصطدم بها البطل زادت غطرشته وشروره.

7- شخصية "رانية مسعودي":

تملك عينان برقتان و شعر طويل هي جارت رضا تكبره بثلاثة،كانت تربطهم علاقة حينما كانا صغيرين، صغار ،وهي تتمتع بجمال يجذب لها الأنظار أينما حلت و ،في البداية عاشت حياة مستقرة و سطرت طريقها و اختارت مع من سوف تواصل حياتها و هذا ما جعلها ترفض "رضا شاوش" باستمرار«إن هناك شخصا يريد الزواج مني،شخصا كنت أحبه منذ كنت مراهقة ،انه حبي الحقيقي[....]وتفهم أننا عندما نحب لا يمكننا أن نعيش من دون حب» [81]

منعها "أخاها كريم "من مواصلة الدراسة بسبب وشاية رضا الذي راءها بصحبة شاب في الوقت الذي رفضت العودة إليه؛ «لقد أردت من رانية أن تكون معي في نفس السرير، واضطررت نتاج

---

[80]الرواية، ص26.

[81]الرواية،ص 75.

ممانعتها أن أشي بها لأخيها كمال الذي راح يضربها أمامي ضربا لا يوصف.....هل نسيت أنها منعت من الدراسة بسبب وشايتي؟» [82]

عملت في متجر لبيع الألبسة النسائية وتواصل دراستها با المراسلة بقيت ناقمة علي أخاها وأمها التي تتعاون معه .

لكن بقرب خروج أخاها من السجن أصبحت خائفة ومتوترة،لام أمها أخبرتها انه حالف بالستين أن يقتلها لأنه سمع أنها تعمل وتواصل دراستها. [83]

في هذه الحالة فكرت رانيا بطلب المساعدة من رضا حتى وان لم تكن نواياه صافية لكنها لم تجد حل آخر وهذا لإيمانها بقدرته علي إقناع أخيها« لقد قرر خطبتي لكنه خائف من مواجهة أخي،أرجوك ساعدني ،أنت من يستطيع حل المشكلة با التأكيد .أنت الوحيد»[84]

لكن أخاها تاب في السجن وأصبح شخص أخر ،لكنه لم يفهمها ووضع لها شروط من اجل الموافقة علي عملها وزواجها،هذا ما دفعها للهروب من المنزل وتزوجت من علام محمد،لكنه طلقها لأنه علم انه لا ينجب.

اعتدي عليها رضا وهي متزوجة«قمت من علي السرير وأمسكتها من كتفها العريض،فحاولت التملص دون أن تقدر،رحت اقبلها علي رقبتها وشعرها الحريري الناعم وهي تعترض،تقاوم وترفض،تحارب جسدا غريبا يريد اقتحامها ،أمسكتها من شعرها ودفعتها نحو الحائط....وبقيت هي كالفريسة التي تقاوم دون أن تقدر علي الانفكاك من اسر صيادها..»[85]

---

[82]الرواية، ص43.

[83]الرواية، ص 76.

[84]الرواية، ص62.

[85]الرواية، ص111.

فصار لها ابن منه لكنها لم تخبره لأنها بقيت غاضبة عليه ،التحق بالجماعة التي صعدت إلي الجبل وهو في سن التاسع عشر و لما أراد العودة هدد وه فأخبرت" رضا شاوش"عن وجود ابنهما وحاجته إليه .عملت مع "سعيد بن عزوز" لصالح النظام ثم تزوجت به.

رعي الروائي تصوير أصناف و نوع العلاقة الموجودة داخل و بين الأخوة،فإذا كان أخ "رضا شاوش" يمثل الأخ المتفاهم العطوف،فان أخ "رانية مسعودي"يمثل فئة الإخوان الغيورين علي أخواتهم الممارسين للعنف و التعسف ضد المرأة عامة،وضد أخواتهم خاصة،وهذه الصفة توارثتها أجيال وأجيال،عبر التقاليد الفكرية التي تفرضها العائلة والسلوكية التي تمارس ضد المرأة.

8-"شخصية كريم":

أخ "رانيا مسعودي "عرف ببلادته وعنفه منذ طفولته ،كل أطفال ومراهقي الحي يكرهونه لأنه يؤذيهم كلما سمحت له الفرصة بذلك جبانا أمام من يراهم يمثلون سلطة ما،كنت اعرف هذا منذ صغري،كان مذموما من كل أطفال و مراهقي الحي،متعنتا و جبارا عندما يقوي علي إيذاء من يراهم اضعف منه

كما كان يعاكس النساء من كل الأعمار، دخل السجن لعدة سنوات وفي المرة الأخيرة مكث فيه أكثر من سبعة سنوات لأنه، ضرب شخص حد الموت لأنه تحرش بأخته وهذا لتفاهة روحه وعقله الصغير،كان يمارس سلطة علي أخته رانيا و يتدخل في كل أمورها بقسوة وفي نظرها كان يقوم بواجبه التي تفرضه العادات و التقاليد.فهو رجل لا تعني له العواطف شيئا و المرأة حشرة يسحقها من هم اقوي منها.

بعد خروج كريم من السجن تغير كثيرا و أصبح يدرك أن الحياة لهو و زهوا و اقتنع أن امتحان الخارج اقسي من امتحان الداخل«خرجت من السجن رجلا صافيا كما يخرج الرضيع من بطن آمه أول مرة،و أنني بعدما خرجت ازداد خوفي،وقلقي،وتألمي من أن امتحان الخارج هو اقسي

علي من امتحان الداخل،والدنيا لعب و لهو ،وسمسرة وكفر ،ولا يمكنني أن أعيش فيها كما كنت من قبل لاهيا مذنبا،وغارقا في سطحيات الحياة التي تنسينا الأهم دائما»[86]

لقد تغير كريم علي يد الشيخ أسامة الذي علمه الأحاديث النبوية و القرآن فصار نده وآخاه في الله كما يقول«لقد عذبني السجن كثيرا،لكن بفضل الله العلي العظيم بعث في طريقي ذلك الرجل،فأنقذني من تلك الظلمة لنور الحقيقة،وفتح عيني علي طريق الهدية،تعلمت بفضله ما تعلمت من ذكر حكيم» [87]

رغم تسلط و تحكم "كريم"في معظم أبناء الحي من جيله أو يكبرهم،إلا أن "رضا شاوش "فلم يكن يقدر علي الاقتراب منه من شدة خوفه من والده الذي كان مدير السجن «أما أنا فلم يكن ليفعل أمامي أي شيء ،كان يخضع لي،أو أحس أن لي كلمة عليه،أقول له افعل هذا فيفعل،وكنت اعرف السبب،لم يكن يخشاني أنا بالتأكيد،بل يخشي أبي الذي كان يدير السجن،وماذا يخيف شخصا حقيرا و بائسا مثله غير السجن،غير ذلك الشعور انه لا يملك قدرة علي المراوغة أمام قوة اكبر منه؟»[88]أما حينما خرج من السجن فقد أثار فيه التساؤل، عن التغيير الذي شهده شخص كريم، وهو المعروف بمعدنه العنيف و القاسي.

فكيف يمكن التخلص من ذلك؟و بأي طريقة تم ذلك؟و ما هو وجهة و مصير ذلك التحول؟

«عرفت أن "كريم"لم يعد هو كريم الذي عرفته سابقا،وعرفه حي "بلوزداد" في سنوات مضت،ولكن بقدر ما فرحت لتحوله من منحل لمتطهر جديد لا ادري لماذا شعرت بقلق عليه،بخوف من صورته الجديدة ،وتساءلت بداخلي :هل يتغير الناس حقا؟آم أنهم سينقلون العنف الذي كان متوجها نحو الخارج إلي عنف جديد لا يعلمون حتى هم ضد من سيكون؟»[89]

---

[86]الرواية، ص82.

[87]الرواية، ص 82.

[88]الرواية، ص82.

[89]الرواية، ص84.

وضع الروائي شخص يساعد البطل في بداياته الأولي في التحول و الانتماء إلي الشر،ولقد أحسن صنع تلك الشخصية و العلاقة التي نسجها به،فهو الأخ الكبير للتي يحب البطل و عندما اصطدم البطل برفض رانية له،استعان ب أخوها و استغل غطرسته و عنفه ليستخدمه ضد أخته ولصالحه هو. فضربه حينها لأخته كان بمثابة انتقام لرضا،و الذي تذوق طعم التعذيب لأول مرة،فقد كان بمثابة من يرمي بعود ثقاب في ركام من الفحم و الحطب،لتشتعل بعدها لتأتي علي الأخضر واليابس

شخصية "كريم" القاسية و العنيفة و تعصبه الديني،دفعه إلي الانضمام إلي الجماعة الدينية التي تسعي إلي فرض مباداءه و أفكاره علي المجتمع،فكانت نهايتها في الجبل.

الظروف العائلية و النفسية التي عاشها البطل ،دفعته للبحث عن أجواء و أخري حيث ينمي فيها توجهاته الفكرية و العقائدية ،وهذا ما جعله ينخرط ضمن جماعة تعمل علي التنظيم ودراسة الأوضاع من اجل العمل علي تغيرها،وتلك الجماعة كانت تضم عدة أشخاص من طلبة ومثقفين من مختلف التخصصات:

9-شخصية خطيب جماعة السرداب:

التي تتكون من طلاب حقوق وفلسفة ولغة فرنسية،و كان في الأربعين من عمره ،نحيل الجسم وقصير القامة يضع نظارة سوداء وسميكة ليضمن بقاءه في منطقة و حتى لا يتعرف عليه.

تعرض لتعذيب علي يد والد" رضا شاوش" ،لكنه بقا متمسك بمبا داءه«عذبه والدي أكثر من مرة ونجا من الموت بأعجوبة،و أن جسده منتهك و محروق،وانه صمد .... صموده هو رأس ماله الحقيقي،و انه الآن في قلب المعركة» [90]

عندما كان "رضا شاوش "ضمن جماعته السرية لم يكن يكلمه،بعد مرور وقت طويل يلتقي به "رضا شاوش" وهو في حالة من الألم و الفشل و مستسلم «سألتقي به بعد ذلك بسنوات

[90]الرواية،ص 37.

طويلة،واراه شخصا فقد كل ذلك البريق الخفي الذي كان يميزه،منطفئ الشعلة،ضامر الوجه،كما لو انه تجرع سموم أحلامه التي أنهكها التعب،و خيبها الزمن و أذبلتها المحن،رجل بلا أحلام» [91]

شخصية الخطيب تمثل مصير المعارضين في بلادنا والذين لم يستسلموا في البداية، وبقوا أوفياء لمبادئهم لكن في المقابل أحلامهم لم تتحقق.

10-شخصية" رفيق":

التقي به البطل في" عنابة "عندما أمره أخوه بالابتعاد عن الجزائر لمدة زمنية حتى يتولي أمر "سعيد بن عزوز"،لم يكن لقاءه مهم بالنسبة للبطل،لكنه جاء كمتنفس له في وقت الفراغ،ولكي يعطي بعض المعلومات عن جماعة السرداب،و تلاعب الحكام و القادة بمصائرهم

كان في جماعة السرداب ،وخرج بعد خروج "رضا شاوش "من جماعة السرداب بسبب الاعتقالات التي حصلت في لجماعة،بعد هروبها من "الجزائر" استقر في "عنابة" و تزوج و رزق بطفل.

و كان منكسر الخاطر مدرك لخطاء معارضتهم لنظام كما اكتشف تأمر القادة«تأسسنا ضد الحكم المفرد،و لكن بعد وفاة الزعيم شعرت أننا أخطانا في توجيه السهام،لقد كنت شابا مندفعا و العيب في القادة،هم كانوا يحللون و يسيروننا بالطريقة التي يريدوننا أن نسير فيها. سرنا خلفهم، وعندما بدأت الاعتقالات لم يعتقلوهم، بل نحن....تصور؟هم تمكنوا من الفرار، و البعض قام بصفقات مشبوهة مع النظام، لقد صاروا اليوم من الوجوه البارزة فيه؟» [92]

باكتشافه لعبة النظام و القادة حزن و حازت عليه بلاده«كان يتكلم بانكسار واضح، وعلي وجهه علامات رغبة في الانفجار و البكاء، لقد ضاع خيط الهدايا، وهو بالتأكيد يشعر أن الأشرعة تمزقت، والسفينة تتمايل راقصة قبل أن تغرق»[93]

---

[91]الرواية، ص 67 .

[92]الرواية ،ص 67.

[93]الرواية، ص68.

رغم انه لم تربطه علاقة قوية برضا ، إلا انه تمنا لو كان مثله ويظهر هذا في قوله«تمنيت لو كنت مثله حينها،املك شيئا من ذلك اليقين الذي يجعله يأمل و يحلم بغد أفضل لأبنائه» [94]

رغم هامشية شخصية رفيق إلا أنها ساهمت في كشف جانب من الحقيقة، حقيقة القادة الذين يثورون ثم يتحولون من معارضين إلي مساندين بمجرد قضاءهم لأهدافهم.كما كشفت جانب مستور ومكبوت في نفسية "رضا شاوش" الذي تمنا لو كان مثله ينعم بضمير إنساني مرتاح و متفائل بغدا أفضل.

حرص الروائي علي وصف الطريق الذي سار عليه البطل،ومن اخذ بيده في هذا المسلك والذي عرف خلاله عدة تحولات خطيرة،سواء في شخصه أو في أفعاله وحتى حياته و حياة الذين من حوله ،وهذه الفئة من الشخصيات التي تنتمي لقوي الشر و التي انضم إليه البطل"رضا شاوش"هي شخصيات الجماعة،والتي تضم كل من: الرجل السمين الذي لعب دور هام في مرحلة من مراحل تتطور الأحداث و ساعدت شخصية البطل في بلوغ ذروته من الشر ،بعدها تختفي لتترك مكانها للبطل.

11- شخصية الرجل السمين:

هو سمين وجهه مدور و انفه طويل و من جيل والد "رضا شاوش"،كان في عمر والد البطل لو كان علي قيد الحياة،عضو في الجماعة السرية التي تعمل في الخفاء. هو من قتل والد "رضا شاوش" بعد أن اكتشف ادعاءه الجنون،بعدما صحا ضميره،وتأكد انه يخدم فئة معينة وليس النظام و البلاد.

انظم "رضا شاوش" للعمل معه «وجدت الرجل السمين ينتظرني ....وقال لي بسرعة خذ هذه الرسالة لطارق كادري،فيها كل ما نريده،ونسبة الدفع..الخ .وسيكون لك معنا نصيب» [95]

---

[95]الرواية، ص113.

و كان ودود مع" رضا شاوش"،لكنه بالمقابل لا يثق فيه«و كان الرجل السمين أكثرهم قربا مني وكان يظهر نحوي ودا عجيبا.كنت اشك فيه غالب الأحيان،فهو من علمني الحيطة من كل ما هو طيب وودود،وافهمني أن لآمر معي مختلف قليلا...»[96]

رغم القوة التي يتمتع بها "الرجل السمين"، والتي استمدها بطرق غير شرعية وهذا بهضم حقوق الضعفاء وتسخيرهم لمصلحته،إلا أن ضميره صحا و صار يشعر بندم«...كان يشعر انه كبر،و ضميره بداء يؤنبه علي أشياء ارتكبها في زمن سابق» [97]

كانت نهايتها علي يد "رضا شاوش" وكان حينها سعيد لأنه فضل أن يموت علي يده كما اعتبره ثأرا «صدقني أفضل لو تقتلني آنت خير من أن يقتلني أي حقير منهم..... أنت لا ترتكب جريمة، أنت تنتقم لوالدك و هنا أطلقت رصاصاتي عليه» [98]

لعبت شخصية الرجل السمين دور هام ،فهو الذي تعرف عليه في البداية ،واختاره لتأدية مهمة كلفها به عندما كان يعمل في مؤسسة "طارق الكادري"كما نسج معه علاقة حميمة يعلمه كيف يتعامل و كيف يأكل ، وسار به حتى اكبر مراحل تحول و تعقد شخصية البطل،أين صار "رضا شاوش" يعمل لصالح الجماعة السرية،و بعدها تحول لعضو فيها ،و بما أن صحوا الضمير غير مسموح به في داخل تلك الجماعة فقد لقي حذفه علي يد" رضا شاوش تلميذه "و خلفه.

12- شخصية الرجل صاحب النظارات السوداء:

وهي تمثل الفئة القوية و المسيطرة، وهو قليل الشيب في الخمسين من عمره، يضع علي عينيه نظارات شمسية سوداء، ويبدوا انه يتحكم في زمام الأمور.هذا لان الروائي لم يقدمه إلا عندما تعلق بإصدار أمر قتل الرجل السمين ،وتعين "رضا شاوش"ضمن الجماعة.

---

[96] الرواية، ص138.

[97] الرواية،ص138 .

[98] الرواية، ص139.

كان "رضا شاوش"يخاف منه وهذا لقوة وسيطرة الرجل صاحب النظارات الذي يتميز بالغموض ويتحكم في زمام الأمور و يعرف كل صغيرة وكبيرة«الحمد لله أن الجماعة لم تعرف ما تحدثت معه فيه،و إن سألني الرجل الذي يضع نظارات سوداء عن علاقتي بالدكتور عدنان،فتعجبت قليلا،كيف عرف موضوع لقائي به؟» [99]

كما انه يسير كل من تضمه الجماعة السرية و يظهر هذا في حرص "رضا شاوش" علي إرضاءه و طاعة أوامره ،فكان يوثق و يكتب أي زيارة أقوم بها لأي شخص.

ويختار الأشخاص الذين يضعهم في جهاز الحكومة من اجل خدمة مصالحه«ما رأيك لو نعرض عليه أن يكون وزيرا للاقتصاد و ينفذ ما نريده؟» [100]

وهو الذي يقرر من يرقي من الأشخاص داخل الجماعة ومن يتم تصفيتهم«لقد سررنا بعملك معنا، و من الآن يمكن أن تعتبر نفسك واحدا من الجهاز.... نريدك أن تصفي هذا الشخص» [101].

إن شخصية الرجل صاحب النظرات،الذي كان يطيعه البطل وينفذ كل أوامره،هو الأخر عمل علي شحن شرارة الشر و التسلط لدي البطل،وفتح له أفاق لا نهاية لها،لممارسة الظلم والبطش وهذا بتعينه عضو داخل الجماعة ،عندما أعطي له الخاتم،وبه يعرف قوته ومكانته.

كما تعمد الروائي في إظهار شخصية الرجل ذو النظارات السوداء بغموض وهذا للإشارة إلي الجماعة التي تحكم و تسير البلاد في الخفاء ،دون معرفة أصولها و اسمها فهي كشيطان لا يظهر للعيان إلا أن أفعاله تظهر،في الجهاز الذي لم يكن له حتى تسمية يمكن آن يكون هذا ممكنا؟.

---

[99] الرواية، ص133

[100] الرواية، ص148.

[101] الرواية، ص132.

الشحنات الاجتماعية و العاطفية تعاني منها معظم الفئات،و هذا لوجود عدة أسباب وعوامل،وهذه المرة هيأ الروائي شخصية سايرت البطل في مراحل تغيراته و انتقالاته المختلفة والخطيرة.

13- شخصية "سعيد بن عزوز":

كان في طفولته رث الثياب تعيس الملامح،كان يبدو وكان السماء غاضبة عليه آو منتقمة منه وهو ذكي جدا، درس مع "رضا شاوش" في الطور الابتدائي ولم يوفق في امتحان السنة السادسة،لكنه استمر في الاجتهاد حتى تحصل علي شهادة الباكالوريا .والتحق بسلك الشرطة وأصبح محققا بمركز شرطة "بلوزداد" كان يكره" رضا شاوش "ويغار منه لأنه متفوق في الدراسة ومعلمة العربية تحبه أكثر من البقية «هل تعرف لماذا أكرهك؟[.....]لأنك كنت متفوقا جدا في الدراسة.....و أيضا لان معلمة العربية كانت معجبة بك أكثر من أي تلميذ أخر» [103]كما يكره والد "رضا شاوش" الذي تسبب في تعذيب أباه وفي موته .[102]

رغبة "سعيد بن عزوز" في التفوق علي بطل الرواية "رضا شاوش" لازمته،فهو منافسه الشديد خاصة بعد تعرفهم علي الرجل السمين و جماعته ،حيث عمل علي تشجيع رضا لاستغلال الفرصة والانضمام إليهم«يبدو كأنك أحمق يا رضا،و لا تريد أن تفهم ما يحدث من حولك[.....]الأمور تغيرت، ماذا تريد أن تكون في هذا البلد سيدا أم عبدا؟» [104]

وسبب هذه العقدة و الرغبة في التفوق و الصعود للقمة بكل الطرق كانت سببها ضعف والده الذي سقط ضحية بين الأيدي القوية ورغبته هو في الانتقام و سحق ذوات الآخرين من اجل وصوه للأعلى«....أشفق علي سعيد بن عزوز ،لقد حرمه والدي من نعيم والده،[....]و عاش حياته كلها و هو يرعي كل ذلك الألم السري بمكان ما في داخله،و كل ذلك الحقد،كل تلك الأحاسيس

---

[103]الرواية،ص 48.

[104]الرواية،ص 100.

التي لا يشفي منها الإنسان.... إن طموح هذا الشخص ليس أن يحقق ذاته، ولكن أن يسحق ذوات الآخرين»[105]

رغم رغبته الشديدة في الانتقام إلا انه تراجع و فهم أن لا حول ولا قوة له أمام الفئة القوية لهذا ترك جانبا ملف أباه و سعا إلي الانضمام للجماعة القوية و المسيطرة«....أنا أنصحك أن لا تقترب من ألان فصاعدا من السعيد، لا ادري ما هي نواياه، ولكنني حذرته وهو فهم الإشارة جيدا»[106]

اقتنع أخير "سعيد بن عزوز". بان لحياة ظالمة ،هذه هي طبيعتها ،لا تأبه لنبل الناس وشرفهم،وعلو روحهم،بل لقوتهم أو لمالهم،وبدون قوة و لا مال نحن مجرد حشرات.لهذا سعي إلي خدمة ما يؤمن له مكانة وسلطة،بمرور الوقت أصبح يعمل لصالح "رضا شاوش" وجماعته،وتزوج من "رانية مسعودي".

شخصية" سعيد بن عزوز" كانت ملازمة لشخصية البطلة ،منذ البداية حيث يزاحمه في الدراسة،و أثناء عمله في جهاز الشرطة لحق "برضا شاوش" أين ظهرت الحقائق المتعلقة بموت أبيه بسبب والد "رضا شاوش" و تأثر هذا لأخير به ،بعدها العمل مع رضا ضمن الجماعة المسيطرة أين كان مجرد عميل وهنا تفوق رضا عليه،رغم عملهم في سلك واحد إلا أن علاقتهم بقت كما هي فلا احد يثق في الأخر،ليعود مرة أخري سعيد لينبش في أعماق "رضا شاوش" ويثير غيظه و جرح لا يبرءا بزواجه من" رانية مسعودي" المرأة التي أحبها بطل الرواية منذ كان صغيرا بهذا نقول أن شخصية "سعيد بن عزوز" لعبت دور هام في الكشف عن الحقائق و كذا النهوض با الشخصية البطلة.

وضع الروائي كل الهياكل التي تساعد الشخص علي التنمية و التعلم ،من أسرة و أصدقاء إلي مدرسة،هذه الأخيرة التي لا تقل أهميتها عن أهمية الأسرة بالنسبة للطفل،حيث يحتك ببني

---

[105] الرواية، ص52.

[106] الرواية، ص 49.

جيله يتعلم العلم و التربية الحسنة،ويكون المعلم قريب من الطفل و يعوضه عن والديه،لذا نجد الطفل يتأثر به ويسمع كلامه كما يشعر نحوه بالحب والاحترام،و "بشير مفتي"هيأ لشخصية بطله معلمة تؤثر فيه وهذا التأثير كان ايجابي،وهي التي كانت مختلفة عن الباقي و لكن رغم هذا الاختلاف كانت تؤمن بكل ما هو جميل وخير،وهذا ما تحاول زرعه في نفوس تلاميذها.

14- شخصية معلمة العربية:

هي ودودة لا تستعمل العنف أثناء تأدية وظيفتها تحاول تحبيب الأشياء لتلاميذها،كما تهتم بهم وتسعي إلي تثقيفهم لهذا تزودهم بالكتب كل نهاية الأسبوع «في كل خميس تهدينا كتبا للقراءة ،كتبا صرنا نتلذذ بها»[107]

وهي متحررة و جميلة،و تبدو متحررة من الخارج ،أنيقة و هادئة الجمال،بارعة في اللباس ترتدي سروال الجينز و تسرح شعرها للوراء كما الأوربيات تقريبا،وتضع المساحيق علي وجهها.

طردت من المدرسة بسبب مؤامرة حيكت لها من طرف المدير الذي حاول التحرش بها لم ويفلح وكذا زميلها الذي انتقدها في لباسها اتهموها بنشر أفكار تهدد نظام الأسرة و مستقبل الأطفال ثم انتقلت للعمل و تركت المدرسة قائلة،لا استطيع العيش مع هؤلاء الكلاب.

كانت قريبة جدا من" رضا شاوش" وتحبه لأنها رأت فيه حب الأدب و الفن لذا صارت توليه اهتمام زائد عن بقية زملائه،«لاحظت شغفي بالقراءة فكانت تعيرني من مكتبتها قصصا طويلة،...وكانت تمتدح حبي للقراءة مدحا خاصا،وأحيانا تعطيني حلويات و نقودا من اجل تشجيعي أكثر» [108]

كل هذا جعل "رضا شاوش" معجبا بها متمنيا أن تكون آمه «كنت أتمني سرا لو كانت هي أمي بالفعل» [109]

---

[107]الرواية،ص 29

[108]الرواية، ص29

[109]الرواية، ص29.

كانت معلمة العربية هي محور كلام"رضا شاوش"بعد خروجه من المدرسة وعودته للبيت حيث يحدث أمه عنها،لكن أمه حذرته منها لا لسبب إلا انه متحررة في ملبسها،لكن البطل لم يقتنع حينها،وراح يلعن تلك التقاليد التي تزور حقيقة الناس ،وتلك الأحكام التي تغلطهم.

هي من علمت" لرضا شاوش" الأدب حتى صار ينظر للعالم نظرة خاصة«علمتني القراءة وحبها،فصرت أقراء كثيرا،وانظر للعالم من خلال الأدب لا غير» [110]

تمثل شخصية معلمة العربية ،احد الشخصيات التي تأثر بها بطل الرواية "رضا شاوش" ،فرغم هامشيتها إلا أنها تركت في نفسيته أثار طيبة ،والروائي وضف مثل هذه الشخصية من اجل إبراز بعض الحقائق المتعلقة بسلوك الناس و أخلاقهم،فرغم تواجدهم داخل مؤسسة تربوية إلا أن هذا لم يمنعهم من ممارسة الضغط و التلاعب والاستغلال.كما بين أن الأحكام التي نطلقها علي الأشخاص من خلال مظهرهم سلوك خطأ،فكأنه يقول من خلال شخصية معلمة العربية أن المظاهر خداعة،لأنها متحررة في ملبسها لكن متحكم في مبادئها و أفكارها ولم يغريها أي شيء،في نفس الوقت تريد تربية جيل مثقف يدرك ما يريد و يسعي لتحقيقه،لكن هناك دائما من يعارض مثل هؤلاء الأشخاص و للأسف في مجتمعاتنا.كم تركت معلمة العربية أثرا طيبا في شخص"رضا شاوش"تركته كذلك علي نفسية القراء حيث جعلهم يحنون لتلك المرحلة ويتذكرونها

الشخصيات الهامشية:

ويكون حضورها عابر ،لا تؤدي دورا ولا وظيفة تجعلها تنمو و تتطور داخل المتن الحكائي،و تبدو و كأنها وظفت في الرواية بشكل عفوي ،ووجد لتخدم الشخصيات الأخرى أثناء قيامها بدورها،ولقد وضف بشير مفتي في روايته "دمية النار "شخصيات هامشية مكملة لادوار الشخصيات الأخرى:

15- شخصية "طارق الكادري": مدير شركة التي كان يعمل فيها" رضا شاوش" كمحاسب

[110] الرواية، ص29.

16- شخصية "علام محمد":زوج "رانيا مسعودي" قصير القامة وذو وجه اسمر السحنة،عمره يناهز اثنين و ثلاثين، طلق رانيا بعد أن عرف انه لا يلد.وهو منافس "رضا شاوش"علي حب "رانية مسعودي"

كان "رضا شاوش"يكرهه رغم انه لا يعرفه،وحائر أمام حب رانيا له«أقول لها رأيي في زواجها من ذلك الغبي الذي لم أكن قد رايته إلا مرات قليلة،صبيا عندما وشيت بها لأخيها الدنيء ،كبيرا عندما تتبعت أثرها ككلب صيد يقتفي اثر مجرم فار من العدالة»[111]رغم هامشية شخصية علام محمد في الرواية، إلا أنها لعبت دور في إبراز شخصية رضا و كشف مدي رغبة رضا لرانية، حيث يظهر هذا أثناء غيرته ومقته له عندما فضلته عليه، كما أعطي مبررا لتحول حياة رانيا إلي عاهرة لأنه تركها لوحدها.

17-شخصية "مراد:"سائق سيارة الشرطة.

18-الشيخ "أسامة":ارتبط ظهوره في الرواية بالسجن، حيث دافع عن "كريم"عندما تعرض للاعتداء من قبل المساجين، هو في الخمسين من عمره يتحدث باللغة العربية الفصحى ويتحدث بلغة عتيقة يؤثر علي من يستمع إليه،كان الجميع في السجن يخفونه و لا يستطيع احد التقرب منه أو من احد أعضاء جماعته،وحينما يقراء القرءان يؤثر علي من يستمع إليه

كان سنه المتقدم و إتقانه للكلام، ورزانة سلوكه سر اجتماع الناس من حوله«تستمد شخصية الشيخ جاذبيتها، علي ما يبدو في الغالب بفضل سنها المتقدم و سلوكها المشهود له بالاستقامة [.....]وفي جميع الحالات فهي سلطة معنوية تؤكد علي قوة الشخصية وتجذب إليها الشخصيات الأخرى....»[112].بعد خروجه من السجن صار يدعو للجهاد و التغيير .

---

[111]الرواية، ص67.

[112]الرواية، ص67.

عمد بشير مفتي إلي توظيف شخصية أسامة المتدينة وذلك للإشارة إلي الوضع الذي عاشته الجزائر ،و لتيار الإسلامي الذي قام بالثورة،كما أراد التنبيه إلي خطورة التعصب الديني وفهم الدين بطريقة خاطئة و بأفق محدود.

19-شخصية "عدنان" "ابن رضا شاوش":هذه الشخصية من الفئة الناقمة و الغاضبة علي الواقع والمعارضة لها ،ولهذا ما جعله يصعد إلي الجبل و ينتمي إلي جماعة الإرهاب و يختار طريق مختلف عن الذي سار عليه والده "رضا شاوش" وأمه "رانية مسعودي"(....لكن أمي لا تفكر مثلي[...]إنها لا تعرف أنني لم أعد انتمي إلي عالمها)[113]

20-شخصية "بشير مفتي":كان ظهورها في بداية الرواية ،حيث قدم نفسه وسرد لنا لقاءه مع "رضا شاوش"وما خلفت هذه الشخصية من فضول في نفسه.

ـ خاتمة الفصل الثاني:

بتحليلنا مجتمع الرواية لاحظنا توظيف فئات مختلفة لشخصيات داخل متن روائي واحد،وهذا ما سمح بخلق عالم اجتماعي قائما بذاته داخل الرواية،حيث نجد شخصيات مختلفة في توجهاتها الفكرية و الثقافية و متباينة في الطبقات الاجتماعية و الاقتصادية،وفي اعتقاداتها السياسية والدكما نجد تنوع العلاقات الاجتماعية و السياسية فيما بينها، وبينها و بين البطل، فهناك العائلة والجيران، و الأصدقاء و الأعداء.

[113]الرواية، ص165.

الفصل الثالث

تحليل شخصية البطل المضاد

1)ـ التناقض القيمي بين الروائي بشير مفتي و بطال روايته رضا شاوش:

هيأ الروائي "بشير مفتي"في روايته دمية النار عدة عوامل و مراحل من اجل تقديم شخصية البطل"رضا شاوش"و من بينها التناقض القيمي والأيديولوجي بين "الراوي"و"البطل" فرغم إشارته إلي اشتراكهما في حب الأدب إلا انه سرعان ما تبين تناقض و تنازع الشخصين في القيم والايدولوجيا.حيث أن بشير مفتي بقي محبا للأدب عامة والكتابة خاصة رغم خطورة الوضع علي البلاد و العباد أثناء تلك المرحلة التي عاشتها الجزائر بكل تناقضاتها ،متخذا من فعل الكتابة ملاذا و مفرا من الانفجار و الانجراف في تيار مجهول وخطير«كنت اشعر بالنفور من تلك الدهاليز،وكانت الكتابة هي ما يساعدني علي الحفاظ علي ماء وجهي حينها» [114]

كما انه بقا وفيا لمبادئه«لقد فرحت رغم ذلك برؤيتك، وقلت ها هو أخيرا شخص مستقيم في عالم مليء...» [115]يمارس مهنة الصحافة و لم يهتم بتقوية علاقته بالسياسيين والعسكريين رغم قربه لهم،حيث كانوا يعيشون في حي واحد«لم أكن حريصا أيامها علي تنمية علاقاتي برجال الأمن والسلطة رغم أنهم كانوا قريبين منا حينها،وكنا نعيش في نفس الخندق..» [116]

أما بطل الرواية "رضا شاوش "الذي تخلي عن حبه للأدب و انفصل عن كل ما كان يحبه و يزرع فيه قيم الخير و حب الحياة وما فيها «دون أن يخفي حسرته علي أن ذلك كان في زمن مضي وليس الآن،وان قدره الأدبي قد انتهي في تلك الأيام،أو مات موتا نهائيا،وانه الآن يعيش بفكرة أن "الحيوان الأدبي"الذي عاش في ثوبه لفترة قد توفي بالفعل» [117]كما انه انتسب لجماعة الشر و القوة الظالمة وصار عضوا فيها.وهذا التضاد بين "الراوي و بطل الرواية"خلق عنصر التمويه حيث يستطيع الراوي أن يعيش أكثر [118] من حياة عبر رواياته ويحكي كل ما يريد أن

---

[114]الرواية، ص18.

[115]الرواية، ص18.

[116]الرواية، ص19.

[117]الرواية، ص19، 20.

يحكيه،من خلال التماهي مع شخصية من شخصيات الرواية، فيبدوا ما يحكيه الراوي بمثابة حياته و سيرته وحتى لو وجد الكاتب في

واعتماد "بشير مفتي"لهذه التقنية سمح له بالتركيب بين نوعين سرديين هما:الرواية و السيرة الذاتية،فالروائي يقوم بوظيفة خارجية يرسم عبرها الإطار العام الذي أهله لنشر "المخطوطة"وهي وظيفة كلفها بها"رضا شاوش".

سير الراوي مع البطل يسمح له بتوصيل الرؤية السردية، كما تمكنه الإمساك بزمام المبادرة في مسيرة بطله،وعدم إتاحة الفرصة لهذا البطل للخروج عن المسار المحدد له،أو التحرك في غير الإطار المرسوم و المسموح له.

كما أن حضور "مفتي بشير"من اجل تبرير أفعال البطل وهذا بتقديم مون ولوغ طويل أثناء شرح الحالة،كما يحرص علي الإشارة إلي حالات ندمه من خلال تفسيرات طويلة من تأثير البيئة والمحيط و بالتالي يتحمل الآخرون المسؤولية أيضا،لهذا فأن القارئ يجد مساحة واسعة ليشهر تعاطفه مع كل ما يحدث.

وتجدر الإشارة إلي أن المرافقة تقتضي الموافقة،لكن التعارض و التناقض ظاهر بين "بشير مفتي"و "رضا شاوش"

لكن الراوي لم يتحيز كثيرا في اختيار الحل المناسب للتعامل مع هذا الشتات الذي يكاد يعصف بمحكم بناء السردية،ببطلها بالتحديد،فلجأ إلي تكنيك التوحد معه:التماهي ببطله،ومن ثم التماهي أيضا برؤية بطله،مما أتاح للسارد الوصول إلي هدفه بخطة أكثر مرونة وسلاسة،بل إقناع و إمتاع.

في الوقت الذي حقق فيه السارد مراده من بطله،و سيطر علي مساره داخل البنية السردية،تمكن البطل من الحصول علي علاقة متميزة بالسارد،حيث أثارت شخصية "رضا شاوش"فضول و اهتمام "بشير مفتي"من أول لقاء جمعه به في بيت العربي.

وهذا العلاقة كان لها دور فاعل في تكوين شخصية البطل أو الانتقال به بسلاسة ،عبر مختلف مراحله التكوينية وهذا بإعطاء البطل مخطوط يسرد فيه سيرته أين يحترف فيها البوح والاعتراف،وهذا ساعده علي المرور بحالات شعورية إنسانية مختلفة تمس الكثيرين في ارض الواقع كما أن وجود شخصية"بشير مفتي"في الرواية ساهم في النفاذ إلي أعماق شخصية "رضا شاوش"وهذا لإعطائه لمساحة اكبر في الرواية و جعله يقوم بفعل الحكي داخل الرواية ،وهذا بممارسته الاعتراف و السرد الذاتي .

فضل الروائي عدم تقديم السيرة الذاتية "لرضا شاوش"لجعل القارئ يتصور واقعية وحقيقة تلك السيرة ،كما انه يمنح لتلك الشخصية الفرصة للاعتراف بحقيقتها التي هي ادري بها ،وهذا من اجل تبرير أفعالها و تبيان مدي تأثير العوامل السياسية و الاجتماعية و الثقافية وحتى النفسية من حب وكره....علي الإنسان عامة بتمثلها في شخصيات روائية.

وكأنه هنا يسقط المسؤولية عن كاهله و يقول لنا أن شخصية البطل هي نتاج اجتماعي سياسي و تاريخي، أكثر منه خيالي إبداعي.

2)ـ تحليل شخصية البطل:

كان لوالد بطل الرواية بشير مفتي تأثير كبير،ففي محياه كان البطل يعاني الألم والحزن من سلوك والده وغموضه،وحينما توفي خلف أثار سلبية وعميقة فيه وذلك بإحساسه بالذنب نحو أمه التي رغم ما عانت من زوجها إلا أنها حزنت و بكت كثيرا عندما توفي.

ورؤية البطل المتكررة لامه تبكي بسبب والده جعله يشعر بالذنب و زادت عقده نحو والده تقعيدا،ففيما سبق كانت تبكي وتحزن لأنها يضربها و يقسوا عليها باستمرار ،والآن تبكي لأنه رحل وتركها لوحدها،خاصة بعدما تحسنت ظروفها بعد أن فقد عقله«بكت أمي كثيرا يومها،بكت كما لم أرها تبكي في حياتها قط،ولقد خلق منظرها ذاك جوا من الحزن البارد بنفسيتي،شعرت بعقدة ذنب نحوه،ولكن كتمت حسرتي بداخلي» [119]

رغم مرض والد البطل و تحول سلوكه من عنيف إلي مسالم و مغادرته للحياة، إلا أن البطل لم يحسم الأمر بين حبه لوالده وكرهه له وفي هذا الصدد هذا يقول«لأنني حتى تلك اللحظة لم اكب قد حسمت الأمر مع نفسي،وان كنت أحبه حقا أم لا» [120]

بهذا الشكل قد تكون مرحلة الطفولة قد انقضت و مرحلة المراهقة في طريقها للانقضاء حينها فترة السبعينات التي تعد بالكثير من الأحلام و الكثير من الأوهام و المخاوف،والبطل حينها كان يحس في قرار نفسه بحتمية اختياره لمصيره لوحده،وهو يشعر أن كل ما يحبه و يسعا إليه لن يتحقق،كما أن مصيره سوف يكون مختلف عن مصير الآخرين ،ورغم هذا عليه الاستمرار والمقاومة،لكن أحلامه حينها لم تكن واضحة فلا هو يحلم بان يكون فنان أو أديب كونه يحب الأدب والقراءة،ولا اختار مهنة تتلاءم مع ما يتقنه و يميل له ،فهو لم يحسم أمره واكتفى بالعيش داخل دوامة فارغة.

---

[119] الرواية، ص28.

[120] الرواية، ص29.

«أظن انه في جانب مني كنت اعرف و أحس،كنت متفهما،أو مدركا إنني سأختار في النهاية طريقي بنفسي،دون أن أكون علي علم بالوجهة طبعا،كان يقيني هو أن كل ما ارتبط به اخسره بسرعة،كل ما أحبه افقده بالتأكيد،وان الخيارات التي ستتاح لي ستكون سيئة وانه علي رغم ذلك المضي فيها،والاستمرار علي هداها،ومن جهة أخري كان علي مقاومة غموض ما احلم به،غموض لحظتي النفسية المعقدة بكل ما يلجمها،ودفعها كي تذهب إلي أعماق الأمل» [121]

البطل في هذه المرحلة بقا ساكن لم يحدد موقفه ولا أحلامه، رغم أن هذه المرحلة هي مرحلة الأحلام و الرغبات و الحماس إلي تحقيقها، لكنه بقا شبه نائم كأنه ينتظر حدوث شيء ما لكي يستيقظ من نومه.

قام البطل بخطوة من اجل تغير نمط عيشه،فانخرط ضمن جماعة السرداب التي تعمل من اجل تغيير الأوضاع،فقد أحس حينها انه بحاجة لمن يأخذ بيده لأنه صارت له رؤيا و طموحات كبيرة،كما انه كان يشعر بجروحه التي تزداد يوم بعد يوم.«صارت لي رؤاي أنا أيضا،مفاهيمي المجردة،ومخاوفي القلقة،ومشاعري المكهربة،وطموحاتي التي لا حدود لها،وانكساراتي الصغيرة،وجروحي التي تكبر مع الوقت دون أمل في الشفاء منها)[122]

أثناء تواجده داخل تلك الجماعة لم ينخرط معهم كما يجب ،لأنه لم يكن مقتنع بما يقومون به و يري في نفسه عدم المقدرة علي المواجهة و الكفاح من اجل أحلام مستحيلة.

وهذا ما دفع البطل للاستفسار عن مدي أهمية الكفاح و النضال من اجل أحلام و مطالب مستحيلة المنال علي ارض الواقع، وفي أرضنا بالخصوص.لكن رد الخطيب أقنعه و ترك اثر طيبا في نفسه، وبقا يتذكره من حين لأخر، و هذا أشعره بالسعادة لأنه تعرف علي شخص مختلف عن باقي البشر الآخرين.

[121] الرواية، ص36.

[122] الرواية، ص 37.

كما أن عمل الجماعة السري 'جعل علاقتهم بالبطل سطحية،وهو الذي تعود علي هكذا من الحياة و السرية منذ كان طفلا ،فالسرية تشكل محور حياة والده،وهذا ما جعل البطل يتناقض في شعوره ،فمرة يحب هذه السرية و مرة أخري يكرهها.

ترك البطل تلك الجماعة وفي قناعته انه يستطيع أن يختار ما سوف يكون ،بعيدا عن ما يؤثر فيه ويوجهه لهذا يقول«تركت الجماعة بعدها غير نادم،أو كمن خرج من حلمه ذاك مستيقظا،وأحسست بحريتي في أن أكون ما أكونه،وليس ما يراد لي أن افعله» [123]

بقا البطل متوتر يجهل مصيره و حقيقة حلمه وهذا بسبب ضبابية رؤيته وشعوره المستمر أن هناك قدرا ما ينتظره، وهو الذي يغير مساره.

في هذه المرحلة تعرض البطل لعدة مواقف مؤلمة،فمات والده و أمه حزنت عليه،وبقا هو مشوش و مضطرب،لم ترسوا سفينته علي شاطئ الأمان،حيث بقت أحلامه غامضة ومواقفه غير محددة ،فهو يسير لمصير مجهول رغم إيمانه بوجود قدر سوف يسير عليه شاء أم أبا.

رغم صغر سن البطل إلا انه كان يعيش حالة حب، حيث كان يحب جارته رانية، وأيامها لم يكن يفقه ما هو الحب وكيف يحب، لكن صورة رانية في قناعته تمثل الحب والجنون«أيامها لم أكن اعرف ما هو الحب؟ولكن صورة رانية كانت هي مختصر الحب وجنونه المتوحش»[124]

وهذا التعلق جعله يلح علي رانية مشاركته نفس السرير،لكن رانية رفضت طلبه طولا وعرضا،وهذا ما أثار غيضه و أيقض فيه ذلك الوحش النائم الذي لا يهمه أي شيء إلا أكله حتى الشبع دون إقامة أي اعتبار لأي كان،فهو لم يحاول إقناع نفسه أن رانية كبيرة عليه وان هذا الطلب لا يمكن تحقيقه إلا في فترة ما و وفق شروط معروفة وهو الزواج .

لكن رانية كانت ترفض بطل الرواية "رضا شاوش" لأنها كانت علي علاقة مع شاب يكبرها بعدة سنوات وتحبه،وعندما عرف البطل بسرها اقسم علي الانتقام منها «صممت علي الانتقام منها

---

[123] الرواية، ص41.

[124] الرواية، ص 43.

بأي طريقة،وقدرت أنها لا بد أن تدفع ثمن خيانتها لي،دون القدرة علي أن اقنع نفسي أنها اكبر سنا مني،وبالتالي لا يمكنها أن تكون معي في فراش واحد» [2]لقد قرر البطل أن تدفع ثمن هذا الاختيار بأي طريقة،فهو إذن مصمم رغم أن رانية لديها الحق في اختيار الشخص الذي تواصل معه حياته إلا انه لم يقتنع بهذا بل نزع منها هذا الحق،وأعطي لنفسه الضوء الأخضر في التصرف و إصدار العقاب عليها وكأنه أمير يحكم في حاشيته كما يشاء و يخضع كل شيء لرغبته و يعاقب من يخالف أوامره.

فعلاقة رانية بذلك الشاب اعتبرها بطل الرواية خيانة وخدش في كبريائه،و هدما لرومانسيته فصورة رانية حينها شكلها في مخيلته و احتفظ لها بمكانة خاصة في قلبه،واقتنع أن لا احد يحق له

له الاقتراب من رانية، وحتى هي لا يحق لها فعل أي شيء يهدد هذا الحب الذي كان من طرف واحد.و شبه مستحيل ،من كل هذا جاءت صدمة علاقة رانية بشاب أخر قوية علي نفسية بطل الرواية «صدمة علاقتها مع ذلك الشاب مروعة للغاية،وجارحة لكبريائي و رومانسيتي حينها»[125] هذه الصدمة والنفور جعلته لا يبصر الصحيح من الخطاء ،و بين الخير و الشر ،لهذا أقدم علي وشاية رانية لأخيها عندما رآها مع الشاب الذي تحب ،وأخوها لم يرحمها حيث ضربها ضربا قويا وهي تستنجد بالبطل "رضا شاوش" «اضطررت نتاج ممانعتها أن أشي بها لأخيها كريم الذي راح يضربها أمامي ضربا لا يوصف،صفعات وراء صفعات،ركلات وراء ركلات،بينما راحت هي تصرخ تستنجد بي ،وهي تأخذ نصيبها من الرجولة الملتبسة بالتقاليد،والأكاذيب المزيفة»[126]كنه لم يفعل أي شيء ،فهي وقعت تحت مخالب شخصين تنعدم لديهم روح الإنسانية ،ولو لا ذلك الغياب لما أقدم البطل علي فعله الشرير،ولما تعرضت لعقوبة قاسية من طرف أخيها،فلم يكن بوسعها فعل أي شيء إلا الاستنجاد ببطل الرواية "رضا شاوش "،وهو نفسه الذي سبب لها هذا الألم وضعها في موقف لا نجاة منه،هكذا أراد بطل الرواية أن يري رانية تتعذب ،لكنه لم يفعل أي شيء من اجل تخليصها من يدي أخاها العنيف،بل بقا يتلذذ بطعم التعذيب فشعر بالفرح و شفا غليله لأنه تم

[125]الرواية، ص44.

[126]الرواية، ص44.

الانتقام له،وفجأة تحول شيء ما في نفسيته،كأن وحش كان ينام داخله و نهض خلال هذا الموقف،وانتبه لوجه الشبه الذي يربطه بوالده وهو حب تعذيب الآخرين.

«لا ادري لماذا لم أشعر بشيء نحوها؟بل سعدت....فرحت بداخلي كما لو أن أخاها انتقم لي من تلك الليالي التعيسات، ومن رفضها المستمر لطلباتي.لم اشعر بالخيانة،ولأول مرة ذقت فرح التعذيب،وأحسست ببشاعة أنني في جزء مني أشبه أبي حينها»[127].

بفعله هذا تحول البطل سلبيا ،كما نسى ما كان عليه من قبل،وما كان يحبه ويزرع فيه بذور الخير والأخلاق،فهو طلق كل شيء للأبد،و خان ما امن به و أعجب به ،فانجذبت روحه لتيار الشر والكراهية ،وصار يسبح في مستنقع الدنس ،وارض تفوح بالكراهية والشر.

بطل الرواية اختار أن ينتقم لنفسه من رانية،دون إقامة أي اعتبار لما يريد الإقدام عليه وبهذا الفعل يصبح البطل مضاد لقيم الخير و الأخلاق التي ترفع من مكانة البطل داخل مجتمعه،و تجعل من روحه عالية و صافية مطمئنة،بل اختار أن يكون مساندا لقوة الشر و ألا أخلاق و هذا ما دفعه إلي الوشاية برانية التي يحبها،فقد انتزع الحب و المشاعر وصلة الرحم كونها جارته،من قلبه و خضع لصوت الشر الذي كانت شرارته تنبع من أعماق نفسه وبهذا يصير شخص شرير و بطل مضاد.

أدرك البطل المضاد في الرواية انه فقد حبه وفتاته للأبد،فلم يعد يتمتع برؤيتها بعد أن فصلها أخوها من الدراسة بفعل وشايته لها و حينها كان سعيدا بفعلته،لكن بمرور الوقت ندم اشد الندم وبدأت روحه تذبل،ويذبل معها كل ما هو جميل وخير وأخلاقي،لهذا ترك عمله في المكتبة قناعة منه انه لا يصلح لبيع ما هو نبيل.

«كنت تحت تأثير خيانتي لرانية ازداد تألما من الداخل.لم اعد اذهب لمكتبة عمي السعيد،تركتها منزعجا من أنني لا أصلح لبيع ما هو نبيل كالكتب،وأنا علي تلك الصفة المشينة في

[127]الرواية، ص 44 ،45.

الخلق.وشايتي بها جعلتني اندم أكثر مما تصورت، خاصة عندما علمت لاحقا أن أخاها منعها من الدراسة بسببي، واجبرها علي المكوث في البيت...» [128]

كما انه ترك مقاعد الدراسة، فاعتبر نفسه غير مفيد ولا يصلح لهذه الأشياء النبيلة

العمل الشرير الذي أقدم علي فعله البطل المضاد في الرواية جعله يفقد ما يحب،ويبتعد عن عالم القراءة والأدب ،ليجد نفسه متعثرا في متاهات الحياة التي صارت لا تعني له شيء،فهو يحيا بلا أحلام و لا دوافع،وسط فراغ موحش«الزمن يجري بلا معني،الحياة ترقص بلا هدف،والأحلام الأولي

تبخرت نهائيا في ألياف دماغي،وأنا بلا دراسة ولا عمل ولا أي هدف،لم اعد أطيق نفسي حينها،صرت انتظر من الفراغ فراغات أكثر،صرت لا اقدر علي التمسك بأي شيء،كان وقتي يذهب منثورا،وعمري يتقلص في المشي...» [129]

وكل هذا أدي إلي وصوله لقناعات خطيرة و شريرة ،حيث أصبح يري في الحب وحش يلتهم ذاتنا،و يضعنا في متاهات لا مخرج منها،و الخير ليس هو الأساس و قاعدة الوجود،بوجود لإنسان الذي هو مضر لأخيه الإنسان«الحياة لم تعد مهمة،الوجود نفثه خيال مسعورة لشخص مريض، تمضي بنا إلي حيث تريد،ولا تستمر في ا[130]لطريق الذي نريده.الحب وحش يقود لعكس ما نؤمن به،الخير ليس هو القاعدة،الإنسان حيوان مضر لأخيه الإنسان،تلك هي القناعات التي وصلت لها..» [131]

هكذا ألت وتحولت حياة البطل من حياة بريئة و هادئة إلي حياة مضطربة و شريرة، ومن بطل خير إلي بطل مضاد وشرير، وهذا بعدما أقدم عليه من فعل مضاد ولا أخلاقي.

---

[128] الرواية، ص47.

[129] الرواية، ص48.

[130] الرواية، ص48.

[131] الرواية، ص48.

بعد كل ما حصل وما عانه البطل قرر أداءه للواجب الوطني، حيث كانت تجربته قاسية إلا انه خرج وهو يدرك قيمة الحياة والحرية، وهذا ما جعله أكثر انضباطا و التزاما أكثر من أي وقتا مضى وادر كان غاية الوجود أن تكون حرا

بعد خروجه من الخدمة الوطنية،وهو مدرك لمعني وقيمة الحياة والحرية،حاول أن يعيد المياه لمجاريها وهذا بإعادة قراءته للكتب والروايات التي كان يحبها ويقرءاها من قبل «ثم عامان آخران لم افعل فيهما أي شيء،تعجبت كيف أنني بعد سنتي الخدمة العسكرية التزمن القعود في البيت،و النظر في كتبي التي بقيت من عهد مضي،محاولا قراءتها من جديد.نسجت عزلة دامت عاما تقريبا ،علاقة أخري مع الكتب»[132]

مكوث البطل داخل البيت مع كتبه وتأملاته وكتاباته لم يدم طويلا،فطبيعة الحياة وأمه تلحان عليه أن يواجه الواقع و يفكر في مستقبله و مصيره،وهذا ما دفع البطل في التفكير في مهنة،وعرض عليه أخاه الكبير أن يشغل منصب معلم في السجن لكنه رفض بحجة انه لا يحب ذلك العالم .

بقا البطل" رضا شاوش "بلا عمل لعدة شهور أخري،حيث كان تائه يجهل طريقه يكتفي با التجول و السير دون وجهة،و شعوره با الضياع و اليتم قد سيطر عليه ،و صمت عميق وعنف خفي و أشباح تظهر و تختفي.

كأن هذه الحالة تهيؤه لمصير جديد و حالة مغايرة،حينها رأي نفسه يشبه مدينة الجزائر التي كانت ملطخة بالدماء و تسير في طريق مجهول يوم تحصد أرواح أبناءها،و قادتها مختفون في قلعة سرية يخططون لما يخدم مصالحهم.«لم يهلكني ذلك التيه الداخلي بقدر ما كان يزيد من إحساسي العميق الغامق العنيف باليتم،فراغ وحشي،سرحان لا نهائي،صمت عميق،عنيف غير مرئي و،وأشباح يظهرون و يختفون؟لشد ما كانت تبدو لي سيرتي أشبه بسيرة هذه المدينة الملطخة بالأحلام و الأوهام الكثيرة؟لشد ما كنت اشعر بأنني مثلها لا املك أصلا أتجدر بداخله،وأغصانا

[132] الرواية، ص55

.

أتطاول معها؟....تنتظر شيئا ما ينقذها من هلاكها المحتوم، ومن السادة المختفين في قلعة سرية....»[133].

مما زاد الطين بله ،لقاء البطل مع أشخاص يثيرون فيه مشاعر مكبوتة في أعماق ألاشعور،لم يتمكن من نسيانها رغم مرور الوقت ففي بداية الأمر التقى "بسعيد بن عزز" الذي درس معه في المرحلة الابتدائية ،والذي كان يمقته و يمقت والده لأنه تسبب في انتحار والده ،وصار الآن محقق في سلك الشرطة وكان طموحه سحق ذوات الآخرين والانتقام لوالده و الصعود للقمة بشتى الطرق.

لقاء البطل "بسعيد بن عزوز" ذكره بوالده الذي رحل منذ عامين ،وهذا أثار فيه شعور الغضب والنقمة علي والده،و حمله مسؤولية ما كان يعاني منه،وكره تكرار وجود أمثاله،فكأن الحياة هيأت له أمثال والده ليلتقي بهم ويزيد حينها غضبه وتعقيدا «تذكرت والدي الذي كان قد مات منذ سنتين،وشعرت بنقمة وأنا أقول لنفسي.كم ستلد الجزائر من هذا النوع الذي لا يتحقق إلا بتدمير الآخرين؟» [134]

هذه الأحداث خلفت أثار سلبية علي نفسية البطل،وعادت به للوراء و لصغره حيث العذاب والألم و تشكل العقد النفسية من والده ونحوه، كذلك تسببه في عذاب وشقاوة "سعيد بن عزوز"،وهذا ما دفعه للانتقام وفتح ملف والد البطل من جديد«هناك أشخاص تقدموا بشكاوي ضد والدك....أنت تعرف أن منصبي يسمح لي بالتحقيق في كل شيء،في ملفات جديدة وأخري قديمة طواها النسيان»[135] كما اخبر البطل بذلك ،لكنه تصدي له رافضا الخوض في هذا الموضوع و النبش في الماضي وفي ذاكرة والده.

---

[133]الرواية، ص61.

[134]الرواية، ص49.

[135]الرواية، ص64.

و ما حاز في نفسية البطل اكتشافه لحقيقة ما سببه والده لعائلة "سعيد بن عزوز" خاصة والده،وأدرك انه يشتركان في المصير وهو موت والديهما وما خلف ذلك من اثر خطير علي كلاهما،منذ اكتشافه للحقيقة صار يشفق علي "سعيد بن عزوز" و يعطي له كل المبررات لسلوكه.

شاءت الأقدار أن تلي كل هذه الأحداث، رؤية البطل "لرانية"،التي كان يحبها و سبب لها العذاب ودفعها لمصير مجهول،حينها وقفا حائرا ولم يجد ما يفعله إلا إظهار ابتسامته المخيفة والتي لا تقول إلا عكسها.

وهذا اللقاء جعل البطل يحلم من جديد برانية ،حينها أحس بوجوده في الحياة وأدرك قيمتها واقتنع بضرورة وجود رانية بجانبه لينعم بالحياة «هذه هي بداية الحياة و نهايتها،ولم انم إلا وأنا اقنع نفسي أنني لا بد لي من العودة لتلك المرأة و الحديث معها»[136].

تأكد البطل انه لم يتخلص من حبه لرانية رغم مرور كل ذلك الوقت،فهي الوحيدة التي تلهب فيه المشاعر و الأحاسيس وكأنه مراهق يعيش حالة تعلق لحب ما لأول مرة

«لم افهم كيف انه رغم مرور كل تلك السنوات لم يتغير شيء من ذلك اللهب،وكيف انه كان يكفي لقاء صدفوي" برانية مسعودي" لأعود ذليلا لمحطة البدايات الأولي،للحب الذي سكن تلك الروح وأنا في طريقي لوعي رجولتي لأول مرة»[137].

حياة البطل لم تعرف الاستقرار،فحالته النفسية في اضطراب مستمر،فلقاءه مع" سعيد بن عزوز "وما خلفه من عذاب وألم صاحبته منذ طفولته.

زد علي هذا لقاءه برانية الذي انقض فيه ثورة من المشاعر، وهذا ادخله في حالة كئيبة لكن اتصال" رانية "به جعلته يحلم بنعمة السعادة والحب كما تمكن من الفرار لبعض الوقت من تلك الحالة الكئيبة.

---

[136] الرواية، ص60.

[137] الرواية، ص61.

لكن شعوره بقرب سعادته لم يدم طويلا و سرعان ما عاد إلي حالته المتوترة لأنه وقع ما لم يتصور وقوعه، حيث طلبت رانية منه التكلم مع أخاها من اجل مشروع خطبتها،«أن هناك شخصا يريد الزواج مني،شخصا أحبه منذ كنت مراهقة،...كدت اصرخ حينها "وحبي أنا ماذا تفعلين به؟"لكنني بقيت صامتا ذلك الصمت الجبان المخيف، والمؤلم، وارتعش من الداخل، فيما واصلت هي حديثها:لقد قرر خطبتي...» [138]

حينها اسودت الحياة في عينيا البطل وراح يفكر في عدة أمور من اجل تفسير ما يحدث له،فهل هو القد راو اللعنة التي تتبعها أو غموض ما يريده هي سبب كل هذه المتاعب و الحواجز التي تجعل منه مضطرب باستمرار ،فكل مرة يحاول فيها الإمساك بحبل النجاة ،يجد نفسه قد سقط في مستنقع المخيبات و الآثام وهذا ما أدي إلي خلق عداوة مع الآخرين حيث يعتبرهم مصدر تلك المعانات و عداوة أخري مع نفسه لأنه لم يستطع الوصول لما يريده ولا حتى معرفة ما يريده ،في هذه الحالة تتشكل العقد وحينها إما يكون عدواني مع الآخرين فيؤذيهم أو مع نفسه فيبقي يعذبها دون البحث في مخرج له«كل شيء خطر ببالي حينها،الأسئلة و الأفكار وطعنات الغدر الآثمة،كم أبالغ في وصف ذلك الإحساس بأنها لم تحبني أبدا تلك الرانية التي اشتهيتها طفلا ثم مراهقا ثم رجلا،وانه ربما لن يقدر لها آن تحبني،لكن دون أن أصل لشيء،لم افهم لغز اللعنة،وهل هي لعنة حقيقية؟أم أنا من يتخيلها بهذا الشكل، واخلق بذلك عداوة مع الآخرين، وعقدة مع نفسي؟» [139]

نفس الموقف و نفس الأشخاص يقفون أمام البطل،مسببين له عذاب كبير و يقيضون فيه الشر ،فعليه أن يختار إما أن يساعد رانية آو يقف ضد حبها كما فعل عندما كان صغيرا،لكن نفسه الشريرة قادته لتعقب خطاهما "رانية وحبيبها"كمن يتعقب مجرم خطير،لكن هذه المرة هو المجرم لأنه لا يريد أن يترك رانية تعيش بسلام مع من اختارته، كانت نفسه تسول له بالشر بفضحها أمام أخاها ويعلن بذلك نهايتها للأبد، لكنه اكتفي بالصمت «تخيلت أنني سأذهب إلي

[138] الرواية، ص75.

[139] الرواية، ص76.

أقصي حد في شروري» [140]ولم يخبره بما طلبته" رانية "لأنه لا يقدر علي فعل ما يجعل "رانية" سعيدة و هو يجعله حزين معذب أي لا يهمه سعادة الآخرين و الذي يهمه هي نفسه وفقط.

مرة أخري يقف البطل موقف مضاد لقيم الخير و الأخلاق،فهو لم يساعد رانية حينما طلبت منه المساعدة ولم يفكر فيه،بل فكر بنفسه وما يجعله سعيدا بوجودها معه رغم أنها لا تريد ذلك،من هذا نقول أن البطل مضاد فحتى من يحبهم لا يستطيع أن يفسح لهم الطريق علي حساب رغباته .

حاول البطل من ترك "رانية مسعودي" وشأنها لأنه أدرك انه لن يحضا بها مهم فعل،لكن لم يستطع أن يتخلص من حبه لها،وبقا مربوطا بشباكها،ويظهر هذا جيدا حينما التقي مرة أخري معها أين شعر انه يقدر أن يفعل أي شيء من اجل الحصول عليها فهي التي أخذت قواه الداخلية وجعلته يبقي متجمد أمامها«كنت بلا إرادة،ارتجف من الداخل،وكنت اشعر أن حبي لها قد وصل لذروته،أو للمكان الذي لا يحمد عقباه،وأنني لم أكن اعرف ماذا افعل أمام ما ورطتني فيه،أم تراني أنا الذي يقع في أشياء من هذا القبيل ،حتى انه ليستطيع أن يضع رقبته فوق سكة الحديد و يموت من اجل من يحب؟كنت اشعر أن رانية أخذت مني كل قوتي الداخلية ،والمؤلم في كل ذلك أنني كنت اشعر بعجز عن الفهم»[141].

كما كان البطل يراها في كل مرة تزداد جمالا وأنوثة، خاصة وعندما رأي فيها الخوف الذي اعتاد رؤيته في عيني أمه و فيه أيضا وهذا زاد من تعلقه بها.

رغم هذا التعلق الكبير برانية إلا أن البطل رفض تلك العلاقة ورأي فيها خدمة لمصلحة رانية،فهي تتصل به حينما تشعر بالخوف و الاضطراب،وهو بالمقابل يريدها معه ،فغيرته علي الذي اختارته رانية لم تسمح له بالوقوف معها وعمل جاهدا علي تجاهلها وتركها لوحدها.«عرفت أنها فرصتي لأهرب بجلدي من تحايلها الماكر نحوي،من رغبتها في أن أكون مخلصها عندما تحتاجني،وعدوها عندما ارغب فيها واحتاج إليها بدوري،وفرصتي لأقول لها رأي في زوجها من ذلك

[140]الرواية، ص78.

[141]الرواية، ص91.

الغبي الذي لم أكن قد رايته إلا مرات قليلة،صبيا عندما وشيت بها لأخيها الدنيء،كبيرا عندما تتبعت أثرها ككلب صيد يقتفي اثر مجرم فار من العدالة...»[142].

إن ما يقو م به البطل وما يمتنع عن القيام به يجعله بطلا مضاد،فبمجرد معرفته أن هذا الفعل يخدم مصلحة غيره يمتنع عن فعله ،كما فعل مع رانية التي امتنع عن مساعدتها لأنه يدرك أن مساعدته تجعل غيره ينعم بها وهي تنعم بغيره هو ،هو يبقي بعيدا عن كل تلك النعم فهو لا يتمثل للأخلاق و لا لمبدأ الخير و العطاء الإنساني فهو بحق بأفعاله بطل مضاد.

مرت عدة شهور علي لقاء البطل برانية،وعاد لحياته الروتينية حيث كان يعمل بمؤسسة "طارق الكادري"،ونسج مع نفسه حالة من العزلة و الصمت والهدوء،فهو يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة،فلم يعد يهم شيء لا نفسه ولم تكن بحوزته أحلام،كما انه أدرك انه ربط وجوده بأمور لن تتحقق ولا معني لها.مرة أخري يحاول البطل التخلص من براثيم الماضي ومحاولة الاهتمام بحياته

التقي البطل مرة أخري "بسعيد بن عزوز "وهو متأثر ويشعر بالشفقة نحوه ،جراء ما لحقه بسبب والده«كنت تحت تأثير شعور غريب بالحرج منه،فكرت فيما حكاه أخي عن فعلة والدي مع والده ،وشعرت بالشفقة و التضامن»[143].

بعد أن دار بينهما حديث وبدا كل شيء علي ما يرام،استضافه سعيد لمطعم في حيدرة أين التقي بجماعة كانت تعرف والده لأنه كان يعمل لصالحهم وكانوا ثلاثة كهول في سن متقدمة،لكن وجوههم محمرة وعيونهم تلمع كالماس ،تعرف احدهم علي "رضا شاوش" و اخبره أن والده كان مخلصا في عمله كان "سعيد بن عزوز" متحمس لان تلك الجماعة تعرف والد البطل وهو بدوره يعرف البطل ،فهنا يمكن إقامة علاقة تخدم كلا الطرفين،لهذا شجع سعيد البطل بسعي وراء تلك الجماعة القوية والتي تعطي لهم فرصة أن يكون أسيادا «أنت محظوظ ..لأنهم يعرفون والدك، وسيساعدونك حتما....ماذا تريد أن تكون في هذا البلد؟سيد آم عبد؟» [144]

---

[142]الرواية، ص93.

[143]الرواية، ص،96.

[144]الرواية، ص100.

لقد بدا البطل في البداية غير مهتم بتلك الجماعة لكن" سعيد بن عزوز" ألح عليه،وراح يقنعه بضرورة الانضمام لتلك الجماعة القوية،فهي المنفذ لكل ما يعانيه ، وبهذا عليه أن ينسي كل ما قراءه وتعلمه و يتمسك بتلك القوة التي ترفع للعالي و تضعه في مقام لم يكن يتصوره،مقام الأقوياء الذين يحصلون علي كل شيء،طبعا علي حساب الضعفاء

«أنا أنصحك باغتنام الفرصة،يجب أن تنسي دائما كل ما تعلمته وقراءته وأمنت به،الرجال الذين قابلتهم منذ قليل هم مفتاح خلاصك و خلاصي من سلسلة الحديد التي تربطنا بالبؤساء والتعساء في بلادنا....»[145]

أثناء إلقاء سعيد لتلك المحاضرة التي تلح علي ترك كل ما هو أخلاقي وخير جانبا لأنها صفة الضعفاء في رأيه، و عمل أي شيء وكل شيء من اجل الالتحاق بتلك الجماعة،لم يبدي البطل رأيه و لم يناقشه ،لان شيء ما تحرك داخله و صارت فكرة السيادة والقوة تجذبه وتفرض عليها وجودها«غير أنني في جانب مني كنت أريد أن اقتنع بكل ما قاله،في داخلي كان قلبي يتحرك بهذا الاتجاه،والتساؤل عن العمل الذي يجب أن أقوم به لكي أصبح سيدا مثلهم،وليس عبدا مثلما هي حال الأغلبية»[146].قبل انصرافهما من المطعم اخبر سعيد البطل رضا باختياره من قبل الجماعة من اجل تأدية مهمة، وأضاف أن اختياره هو ضربة حظ وفرصة لا تعوض، ويعتبر شرف له لأنه وقع علي الخيار.هنا بدأت الأخلاق و المبادئ تتعارض فهم يدركون أن ما يقومون به شر إلا أنهم يتعمدون ذلك ،كما أن قوي الشر بدأت تحيط بالبطل من كل جهة ،فماضي والده لحقه في كل مكان وكل مراحل حياته .وبعد صراع بين قيم الخير و الشر مالت كفة الشر فوافق البطل علي أداء تلك المهمة حيث بقي كلامه يرن في ادني لوقت طويل،ورغم شعوره بالقرف و النفور،والخوف أيضا مما رأي وسمع،إلا أنه هاتفه في الغد وقال لهأنا موافق.

[145] الرواية، ص101.

[146] الرواية، ص102.

في الوقت الذي وافق البطل علي العمل مع "سعيد بن عزوز" و الجماعة طلب منه أن يتحري حول رانية ،وعاد لخبره أنها هربت من المنزل و تزوجت بمحمد علام،نفس البطل تسر علي الإساءة لرانية التي لا يستطيع أن يتركها تعيش بسلام .

لم يتوقف البطل بمجرد التحري بل ذهب يترقبها في الحي الذي تسكنه،وبمجرد أن لمحها وهي تودع زوجها حتى غمرته ثورة الحسد والغيرة علي ذلك الرجل الذي ينعم برانية،وشعر بالغضب والنقمة علي رانية التي اخترت ذلك الرجل بدلا منه«تساءلت في غمرة ذلك الفيض العاطفي الغريب و هيجان الغيرة و الحسد و الحنين:لماذا أكن هذا الحب القوي نحو هذه المرأة بالذات؟» [147]

لا بد أن قوي الشر سيطرت علي البطل وجعلته يؤدي دوره المضاد بتفاني ،ليعود مرة أخري لذلك الحي يترصد رانية كما تترصد الفريسة ،فانتظر حتى خرج زوجها وطرق علي الباب وبطرقه هذا قد أطلق صفارة الإنذار والخطر لما سوف يحصل بعدها،فبعد أن دار بينهما حديث عن أخ "رانية" والوضع الذي يخصها،استغل البطل فرصته بعد أن استجاب لشيطانياته فحاول جذبها إليه«بقيت امسك يديها و أنا ارتعش،ثم تجرأت و نظرت إلي وجهها الجميل،في محاولة لجذب روحها إلي روحي،فهمت ما كان يدور براسي حينها أو تكهنت به،وحاولت تجنب نظرتي بسرعة،وهي تنزع يديها من قبضة يدي،وتقوم من علي السرير متوجهة لأقصي الغرفة» [148]

حاولت رانية تجنب البطل مذكرة إياه أنها متزوجة و هي اكبر منه زد علي هذا لم تنسي ما سبب لها من الم و توتر في حياتها ،كما أخبرته عن خوفها منه «أراك تقوم الآن بنفس الشيء،تريد أن تسلب مني هذه الحياة التي أعيشها،ولا يهمك إن كنت مغرمة وسعيد مع هذا الشخص أم لا،كل ما يهم أن تسرقني منه،أن تأخذني معك ،أرجوك اتركني و شأني» [149]

---

[147] الرواية، ص106.

[148] الرواية، ص109.

[149] الرواية، ص110.

بالمقابل البطل لم يهتم بما تقوله واستمر في إصدار شره و التنفيس عن عقده حيث كانت رانية حقل تجاربه لأولي حيث نفث سمومه و شره فيها منذ طفولته فهمه الوحيد إرضاء أنانيته«لكنني أخافك،اشعر انك لا تفهم أي شيء ف[150]ي الحب وكل ما يهمك هو أن ترضي

أنانيتك» كانت كلمات رانية تكشف عن حقيقة البطل ،والتي كان يخفيها عن الأعيان لكن أفعاله التي كانت مضادة للقيم لأخلاقية و الخير كانت تؤكد بطولته المضادة لكل ما هو خير وإنساني فحاول الهروب مما تقوله لكن لم يستطع لأنه أمام الحقيقة.

اعترف البطل بحبه لرانية ،وعن استعداده للقتل من اجل ذلك الحب المستحيل.

الحب شعور نبيل و نعمة لمن يحسن استغلالها،فهو قوة ايجابية للمحب و المحبوب،لكن الحب عند بطل الرواية طاقة سلبية ،أثرت عليه حتى عاد شرير متوحش وعلي من يحب لهذا سمح لنفسه أن يعتدي علي رانية،دون إقامة اعتبار لأي شيء .

«كان ظلام العالم يغطي عيني،يتداخل فجأة مع خلايا روحي،يزغرد كحيوان مفترس،يينع كالجرثومة،ينفجر كالبركان،يعوى كذئب منهار ومتوتر يصرخ من دون توقف،يريد أن ينقض،وان يخبش،وان يهجم بكل قوة وبكل شراسة،وبكل حب،وبكل رغبة سامة في الانتقام،بكل جنون وبكل خيبة،وبكل ذلك الذي لا اسم له و لا لون؟حالة جديدة طفت علي السطح بعد أن تفجرت من الداخل،عيناي احمرتا،توقدتا ،تفجرتا،تفتحتا،وصارتا تنطقان بشيء أخر،بدم كأنه خارج لتوه من كابوس مجزرة لم يبق فيها أي احد علي قيد الحياة» [151]

الحالة التي تحول إليها البطل حينما أراد الاعتداء علي رانية مرعبة وخطيرة و لا إنسانية،فضربه عرض الحائط لكل المشاعر النبيلة و الأخلاق الفاضلة جعلته في صورة إنسان وبروح حيوان مفترس،فكل قوي الشر تجمعت فيه لتدفعه للاعتداء علي رانية جارته و المرأة التي أحبها بغرور وتنكر،فهو لم يحبها بل أحب نفسه و سعا إلي تحقيق رغبته ،لهذا سعي إلي كسبها

[150]الرواية، ص 110.

[151]الرواية، ص111.

بشتى الطرق وعندما لم يفلح أصر علي تدميرها،فهو مثل كابوس يلاحقها أين رحلت و ارتحلت وفي كل زمان.

وهذه المرة انقضا عليها في بيتها،وهنا نقول انه نزل إلي أسفل سافلين من الدناءة والشر،حيث يعتدي علي امرأة داخل بيتها وهي متزوجة كل شيء حدث بسرعة وبعنف،و كأن البطل كانت تنتظره مشاغل أخري يؤديها بنفس العنف و الشر،ففي تلك اللحظات السيئة التي ملؤها الخوف و الدمار كانت روحه تعلو إلي قمة الشر والجحود «كانت لحظة سيئة دون شك،مليئة بالغموض و التنكر،و الإجحاف والخوف،لا متعة فيها،مع أنني صعدت إلي اعلي مستوي،لا روح فيها،مع أنها كانت لحظة لفقدان الروح،ولهيجان الجسد،ولانفلات العشق،وانكسار الحقيقة،وتوتر الحالة....» [152]

لم تسلم رانية من أفعال البطل المضاد الذي نفث سمومه عليها عدة مرات، وهذه المرة كانت الأخطر و الأكثر شرا حيث رمي بها إلي ظلمة دامسة و مصير مجهول وتعيس أكيد.

البطل المضاد بعد تلطيخ يديه بدم رانية و ذنوبها لم يبالي بها و لم يشعر بتأنيب الضمير،وكيف يشعر وهو الذي افرغ شحناته و عقده التي كانت تقيده علي رانية،و بفعله الشرير صار أكثر قوة و أكثر حرية ،وكأنه كان ينتظر هذه اللحظة ليصير ما يريد أن يصير فباعتدائه علي رانية زالت مخاوفه و صار مستعدا للقيام بأي شيء في الوجود طبعا الأشياء ألا أخلاقية والشريرة التي صار يتلذذ بها لأنه تجعله أكثر قوة و حرية.«رحت ارتدي سروالي بلا مبالاة،وشعرت و أنا اخرج من بيتها بأنني خلاص تغيرت،صرت شخصا جديدا بالفعل،وانه يمكنني أن افعل أي شيء أريده،فلم يعد هناك يخيفني في الوجود،وأنني من تلك اللحظة قد ذهبت للضفة الأخرى من العالم للوجود» [153]

---

[152] الرواية، ص112.

[153] الرواية، ص112.

كما عمل جاهدا في نسيان ما فعله،و هنا يظهر جليا بطولته المضادة فبدل أن ينسي أمر رانية و ينشغل بنفسه و مستقبله ،تعمد أن يبقيها نصب عينيه حتى فعل ما فعل تعمد النسيان والمضي في حياته.

بأفعاله المضادة للخير و الأخلاق يصبح بطلا مضادا بعد تخلص البطل من كل ما كان يقيده و تحوله لإنسان ظالم وقاسي،راح يبحث عن الانتماء لعالم الأقوياء و عالم الظلام و الظلم ،فأصبح همه الوحيد الانتماء لذلك العالم بشتى الطرق لهذا راح يبحث عن الرجل السمين

«كنت بحاجة لرؤية ذلك الرجل السمين الذي تحدث معه في مطعم "باريس الصغيرة".لا اعلم لماذا تمنيت الجلوس إليه و سماع قصة والدي،كما لو انه لم يعد يهمني في النهاية إلا أن أكون في الضفة الآمنة من العالم السيد و المتمكن» [154]

بحثه عن الرجل السمين و جماعته الشريرة هي بحث عن زيادة قوته الشريرة بالانضمام لقوي الشر والأكل والشرب من بئرهم الملوث بدماء الضعفاء ليزدادوا بعد كل رشفة قوة و ظلم و بطش.

من اجل كل هذا سعي البطل المضاد في التفاني و التفنن في أداء وظيفته التي زادت من غطرسته وقربته أكثر من ذلك العالم الظالم وهو يحس بان جهوده سوف تثمر حتما،وان طريقته ستعجبهم بالتأكيد،فلم يكن عنده حد،أو لم أضع لنفسه حدا،فهم من خلالهم أن شطارته كانت في إثبات وفائه لهم، ومع كل مهمة كان ينجزها كان يشعر بأنه يتعمق أكثر في منظمتهم تلك،ويسير بعيدا في طرق ظلامهم ذاك و أصبح مع الوقت جزاء منه،جزاء لا يتجزءا.

وهنا البطل ينتقل من نقيض لنقيض،فبعدما كان ينتقد و يكره ذلك الانتماء و الولاء لقوي الشر و لتلك الجماعة خاصة ،كما حاربها بالابتعاد عنها في صغره عندما كان والده يعمل مع تلك الجماعة هاهنا لان يعمل جاهدا بتقوية صلته بذلك العالم الظالم واستمرار خدمتهم رغبة منه في البقاء معهم .وشعوره بانتمائه للعالم الأقوياء الظالمين ،الذي اختاره و فضله علي عالم البسطاء

[154] الرواية، ص112.

الخيرين يزداد يوم بعد يوم«لقد كنت اشعر أنني منهم،وان هذا المشترك بيننا هو حقيقتي الوحيدة حينها» [155]بهذا الانتماء يحقق البطل ذاته و يصير بطل مضاد.

ومع مرور السنوات ازداد تعلق البطل المضاد بتلك الجماعة كما ازدادت روحه في التلاشي حتى أضحي شخصا أخر شخصا ترك كل ما امن به و سعي إلي تحقيقه في مرحلة من مراحل حياته من خير و عدل وأخلاق في حافة الطريق مواصلا طريقه الضال في ظلمة الشر والخراب،«مع مرور السنوات شعرت أنني تحولت،صرت شخصا أخر،يجب أن أؤكد هذه الحقيقة،وأنني في تلك اللحظة الزمنية المدنسة فقدت روحي،نعم روحي،لا ادري ما هي الروح،كنت اعرف ذلك من قبل،أي حينما كنت اسعي لأكون شخصا جديدا،مؤمنا كل الإيمان بان هناك مثالا عادلا يجب أن يتحقق في من الداخل،وبان الحياة مفتوحة علي انقي الأشياء و أجملها» [156]

كما لم تعد له أية علاقة بالأخلاق و الأعمال الإنسانية و لا بالناس الخيرين،ولم يعد يتمتع بنبل الحياة كما وهبت لنا،و رؤيته للوجود تلاشت ،فلم يعد يري إلا تلك الجماعة الجبارة الطاغية ولا يؤمن إلا بقوتهم و لا يقتدي إلا بأفعالهم.

كونه جزاء من تلك الجماعة صار لا يفكر لأنه فقد روحه،ولم يعد يهمه تفسير الأمور وتحليل المواقف و الأفعال التي يقوم بها،وحتى إن فكر فانه سوف يفكر بطريقة شيطانية جهنمية لطمس الآخرين و تحقيق ذاته ،فهو يتصرف بشر مطلق بلا تردد و لا دهشة ولا خوف في قلبه.«وصرت عاجزا عن التفكير، لأنه عندما تفكر و أنت بلا روح لا يمكنك أن تفكر.إن كل الأفكار لا معني لها،ستخرج الغريزة،سيتحول الإنسان إلي بشاعة مطلقة،وشر مطلق،وخراب مطلق،يتحول إلي كائن أخر،كائن ممسوخ،لا دهشة في قلبه،لا سؤال في عقله،كائن مشوه تصنعه ظروف الفقدان تلك،حياة بلا روح تعني كل شيء،إمكانيات جديدة كلها مخططات جهنمية للموت،وللقتل،ولتصفية النار،الحقيقية في جوهر الإنسان» [157]

---

[155]الرواية، ص، 118.

[156]الرواية، ص118

[157]الرواية، ص119.

استحم البطل في واد النسيان أين فقد روحه و نفسه،ليبعث من جديد بصفة إنسان وأعمال شيطان كمصاص دماء البشر،وكمخلوق فضائي غريب حل كلعنة علي البشر و الأرض،يحقق وجوده بالقضاء علي ذوات الآخرين و امتصاص دمه الذي صار يتغذي به ليقوي أكثر«فإذا بي أولد شخصا أخر،مليئا بأشياء أخري،ودماء جديدة،دماء الآخرين امتص منهم روحهم البريئة لأعيش،صرت الشر و دمية الشر،ص[158]رت الشيطان ،ودمية الشيطان،صرت تلك النار الهبة والمستعرة،النار الحارقة والمسعورة،صرت مثل دمية النار،تحرق من يمسكها،صرت ألاشيء الفارغ من أي معني،والذي لن يعيش إلا عندما يقدر علي مص دماء الأبرياء الذين يواجههم...» [159]

خرج البطل من إنسانيته ليصير مثل دراكولا ،فهو يري العالم واسع بلا حدود يمتلكه ويفعل ما يحلو له،و يتلذذ بامتصاص دماء الضعفاء في كل ليلة

«لقد بدا لي العالم حينها واسعا بلا حدود،ومفتوحا علي احتمالات لا نهائية.ومثل دراكولا الذي تخلقه حالة انعدام التوازن بين النهار والليل يخرج ليختار ضحيته كل ليلة،وينقض علي الأضعف بالتأكيد،ليتلذذ بطعم الدماء الحلوة للبعض ...تلك هي طبيعته الجديدة و نوعه الجديد»[160].

البطل المضاد بحالته الجديدة ينفذ كل ما يطلب منه حتى صار واحد منهم، وهم سعداء به لأنهم حولوه لصورة طبق الأصل لهم، وهذا من اجل أن يخلفهم في ارض الفساد و الظلم.

انتقل البطل من حال إلي حال ،فبعدما كان يهرب من الماضي و ما يربطه به وجد نفسه مشدود إليه بطريقة أو أخري،ففجأة اكتشف عدوانيته و مقدرته العظيمة في تعذيب الآخرين والامتثال للأوامر و العيش بلا ضمير ،وبين ليلة وضحاها أصبح مثل والده بل اخطر منه واعنف

[158]الرواية، ص120..

[159]الرواية، ص120

[160]الرواية، ص120.

«لم يعد لي أي علاقة بماضي ذاك، كنت هاربا منه،مع أنني كلما هربت عدت،حتى أيقنت بأنني مرتبط به بخيط سحري، ومندمج حتى العظم بداخل تلابيبه.لقد فتحت الباب أخيرا لنفسي كي أكون مثله، شخصا ينفذ الأوامر، ويعيش بلا ضمير» [161]

الموروث النفسي الذي ورثه البطل عن والده ساعده في الوصول بسرعة إلي قوي الشر حتى صار ندا لهم و كما يريدون ،لأنه كان مهيأ من قبل و معدنه يسمح له بالتحول من حال لآخري خاصة إذا تعلق الأمر بالجانب المظلم من الحياة ،عكس" سعيد بن عزوز" الذي رغم سعيه لان يكون سيدا و مساندا لقوي الشر والسواد لم يتمكن من ذلك بينما هو يتقدم في سلم الترقي التدريجي نحو الصعود لقمة فقدان الروح.

الطريق الذي سار عليه البطل جعل منه بطل مضاد، لأنه طريق معوج كان يعيبه علي والده،لكنه سرعان ما اقتنع به واهتدي إليه.

يبحث البطل عن مبررا لاستمراره في السير في عالم السواد الذي يزيده بطش وحقدا ومضاد لكل أنواع الخير ،بالأثر الذي خلفه والد«لقد تغيرت و لقد كان هو السبب لا بد أن أجد لحياتي بعض مبرراتها و لا شك أن كل ما حدث لي كان له جذور في ذلك الماضي الغائر في العتمة والظلمة الشديدة» [162]

تعري البطل المضاد من كل ما كان يحس به ،فحتى رانية التي كانت تشعل فيه نيران الشوق وتجعل قلبه ينبض بقوة ،لم يعد يحس بكل ذاك الشعور «ولأول مرة لم يهتز قلبي عند ذكر اسمها،حتى ظننت أنني تخلصت من حبها بالفعل،أو لم اعد أحبها،أو ما كان حبا قويا لم يعد له مكان في قلبي،صار لي قلب لا يحب،ولم قاموسي يتسع لهذه العبارة الرقيقة.لم يعد هناك قلب،فكيف يكون هناك حب؟» [163]لم يعد في قلب وروح البطل أي مكانة للمشاعر و الخير والأخلاق،فروحه تنجذب لقوي الشر و تستقبل كل أنواع الحقد و العقد ،فصار أكثر شراسة و أكثر

---

[161]الرواية، ص122.

[162]الرواية، ص159.

[163]الرواية، ص124.

تسلط من أبيه«صرت واحد من تلك الكلية الغامضة التي تتحكم في مصائر و أقدار الآخرين،صارت لي حياة رجل يمتص دماء الناس،يقتات منهم بلا رحمة،ولم يعد يكفيني ذلك المص لدمائهم بل صرت أكثر بشاعة من هذا إذا انتقلت لمرتبة أخري حيث أكل لحومهم»[164]

بانتقال البطل لمرحلة أخري والتي يستطيع فيها أكل لحم إخوانه و شرب دمائهم أمر عادي وممتع ،بلا رحمة ولا شفقة،صار فعل القتل وكأنه لعبة يقضي علي خصمه و من يريد بلا تردد ولا خوف ،وهذا حصل له عندما نفذ أمر قتل الرجل السمين.«...ولم اشعر بما يشعر به القاتل وهو يرتكب جريمته الشنعاء،بل لم تأت هذه الأوصاف حينها كما لو أنني لم ارتكب أي شيء كما لو أن هذه الجريمة لم تكن جريمة....»[165].

أصبح البطل المضاد لا يشعر بتأنيب الضمير ولا باضطراب نفسيته و لا بضبابية رؤيته للحياة، فهو مثل الدمية ينفذ الأوامر و يعيش و كأن شيء ما لم يكن، وهذا ما حصل له عندما قتل الرجل السمين.

الشيء المهم عند البطل المضاد هو تنفيذ الأوامر مهم كان و مهما كلف ذلك فعليه القيام بذلك دون تفكير، كما كان يدرك انه تحول إلي بطل مضاد.

بعد كل هذا التحول الرهيب لشخصية البطل وجد نفسه مرة أخري متناقض مع ما يفعله ومع من يخدمهم ،فصار يبحث عن من يصدقه في المجتمع لينقل لهم بعض ما يخطط لهم لكن فات القطار حينها،ولم يجد من يسمعه أو يصدقه لأنه قبل كل شيء بطل مضاد للخير عميل للشر.«وبشكل لاواعي تقريبا،وجدتي من جهة ضدهم،أحاول أن انقل بعض الأخبار من عالمهم لعامل الناس الذين يعيشون تحت الأرض،....ولكنهم لم يثقوا بي هم أيضا ولم يستمع إلي احد....كنت في صف الجماعة التي أعيش معها، صف الذين يملكون تلك القوة الغريبة لجعل كل الناس مفسدين أو هالكين» [166]

---

[164]الرواية، ص139

[165]الرواية، ص147.

[166]الرواية، ص147.

رغم ما يحيط البطل من بهرج و مال ورفاه إلا انه لا يتمتع به،حيث فقد ذوقه للحياة وحتى النوم لم يعد ينام ،وفقد كل إحساسه فهو كآلة مبرمجة علي تعذيب الآخرين،وفي الوقت ذاته يعذب نفسه،وكان مفره من ذلك الفراغ الموحش الشرب و الهروب من واقعه و ألامه فبقدر ما يسبب الألم لغيره بقدر ما يعود ذلك الألم ليعذبه

«فكنت افعل ذلك بروح ميتة، وقلب عقيم، وجسد لا يرتجف.وكنت بقدر ما أمعن في تعذيب الآخرين أمعن في تعذيب نفسي، كانت روحي الميتة تنهض من موتها الداخلي و تصرخ، وكنت اشعر بذلك الصوت المدوي يكسر جدران العادة للقتل اليومي....فأخلو إلي تلك العزلة..واشرب قدر ما استطيع وأحيانا كان ذلك هو أكثر ما استطيع تحقيقه مستسلما لحالة الغيبوبة الطويلة والنسيان الكبير» [167]

و حياة البطل تزداد ظلمة و قسوة وهذا بسبب أفعاله الشريرة ،حتى عاد يحلم بقطرة من الدموع أمام حالة الألم والحزن ،فحتى عندما فقد اعز شخص كان يحبه و يتدفأ بحنانه في صغره وهو معجبا به لم تدمع عينه فكان الأمر لا يعنيه،وهذا ما حدث له عندما فقد أمه «يوما بعد أخر صارت حياتي شبحيه،وصرت أحيانا اشعر بأنني غير موجود واغرق في ذاكرة منتهية....واحلم بقطرات من الدموع، حتى يوم توفيت والدتي لم أبكي، رأيت الجميع يذرفون الدموع إلا أنا...يبدو وكأنه شيء لا علاقة لي به»[168]

كما فقد البطل عمه العربي في سنوات الحرب فزاد ارقه و لكنه لم تدمع عينه وهو الذي كان متعلق به فيما مضي، لكنه لم يره منذ سنوات طوال.

انفصال البطل عن كل ما هو خير و أخلاقي ومن الأشخاص الذين يزرعون فيه بذور الحب و العطاء، والتحامه بقوي الشر و الظلم جعله يفقد معاني الحياة و شعوره الإنساني فكتفي ببطولته المضادة و بعالمه القاسي.

---

[167] الرواية،ص 150.

[168] الرواية، ص150.

ويظهر البطل بشكل دمية نارية لا يمكن تجنب شرارتها ولا أذاها،لأنه يقتات من النار ويعيش في ظلمات الحياة بلا خوف و لا تردد

«أخذت الأشياء شكلا يقترب من عالم الصمت والعزلة،شكل من وضع قدميه في النار محترقا بها،فصار هو النار بعينها النار التي تقتات منه والنار التي بها يعيش ظلماته السوداء دون أن يخشي عتمتها....» [169]

ورغم وجوده داخل القلعة المحصنة القوية إلا أنها في الحقيقة فارغة وهشة،ومكانته التي يحتلها لم يستفد ولا يتمتع بها هذا لان صعوده علي حساب ظهور الضعفاء وحان الوقت لدفع ثمن ما اقترفه من ذنوب «سنوات العمر ضاعت نهائيا،وأنني بدل أن استفيد من مكانتي كنت بالعكس من ذلك اغرق في وساوسي وارقي،دون أن أتمكن من التخفيف ولو بشكل بسيط من صداع راسي...» [170]

كما أن نفسه تحولت لعدوه الأول وهي التي تمنعه عن النوم و الراحة،صار الأصدقاء يتربصون به لقتله وهذا ما أقدم علي فعله حارسه الخاص و ما يحاول فعله "سعيد بن عزوز.

أمام كل هذا التشويش و الحزن الذي اعتري نفيسة البطل ،جعله يفكر و يتساءل عن ما جناه بأفعاله الشريرة و المضادة للحب و الخير والسلام،فهو تنعم بكل شيء في الوجود ،لكن حرم من الحب و الراحة النفسية،وراح يبحث عن جواب لحالته و مصيره،فمرة يلقي العتاب علي ما ورثه من والده ،ومرت علي ما خسره من حب الأشخاص الذين تعلق بهم فصار عدواني معقد.

مرت أخري يلصقه للقدر ،لكن يعود للحقيقة التي لا يمكن تغطيتها ولا الفرار منه وهو انتسابه لشر فهو الذي سار في طريق الظلم و الظلام بحرية لكنه لا ينكر ارتباطه ببيئته و تاريخه الشخصي«كنت اشعر بأنني لم أكن مخيرا بالتأكيد،و أننا ضحايا أقدارنا لا غير،ثم أثور بسرعة علي هذه الفكرة الغبية قائلا لنفسي:"لقد اخترت و انتسبت للشر دون نقاش أو جدل،لم يدفعني لا

[169] الرواية، ص 156.

[170] الرواية، ص155.

القدر و لا الظروف ،ولكن بالتأكيد لعب كل ذلك دورا،إن الإنسان هو محصلة بيئته و تاريخه الشخصي» [171]

من كل هذا نستنتج تحول شخصية البطل من حالة إلي حالة أكثر سلبية،بقيامه بأفعال وتصرفات مضادة لقيم الخير والأخلاق ومضادة لدور البطل ،الذي من المفروض أن يقوم بدور أخلاقي خير لكنه قام بدور بطل مضاد لكل قيم الخير و الأخلاق ،وسلوكه و أفعاله كلها تبرر سلبية شخصيته و شرها وهذا جعل منه بطل مضاد.

ـ خاتمة الفصل الثالث:

أحطنا شخصية البطل في الرواية بالتحليل و ذلك بمراعاة مراحل تطوره العمري ،و مراحل حالات تحولاته النفسية و الفكرية والسلوكية،وهذا اعتمادا علي مجموعة من العوامل و الدوافع التي ساعدته في التحول سواء الداخلية أو الخارجية. و التي حولته من شخص حائد،إلي شخص شرير و مضاد لكل قيم الخير و الأخلاق،حيث سبب الألم و الضرر للبلاد و العباد،كما تبين لنا التعارض القيمي بين شخصية الروائي"بشير مفتي"و شخص بطل الرواية "رضا شاوش".

استنتاجا لما توصلنا إليه نقول أن شخصية بطل الرواية"دمية النار"شخصية شريرة وهو بهذا بطل مضاد.

[171] الرواية، ص157.

نتائج البحث:

-تمكن الروائي بشير مفتي ،أن يعكس صورة الواقع الاجتماعي و السياسي و التاريخي،باعتبار أن الكاتب الجزائري انطلق من الواقع لرسم و بناء أحداث روايته،فجات هذه الرواية عاكسة للتحولات والتغيرات التي أصابت المجتمع،معبرة عن واقع مأساوي قاسي،سيطرت عليه تيمة إيديولوجية استطاعت أن تحتل مسافة واسعة في الكتابة الروائية،بما تحمله من أثار الظلم و العنف والتحايل.

- تعرض رواية دمية النار ،شخصيات متطرفة وأخري خاضعة ومثقفة أخري شريرة مضادة .

-كما أن الايدولوجيا في دمية النار ،كانت حاضرة والتي ظهرت في شكل صراع فكري و سياسي يظهر في خطاب الشخصيات و السارد.

- وعي الروائي بوقعه المعاش و تأثره به، دفعه إلي تقريب الواقع و إبداعاته، محاولة منه لنقل الصراع الإيديولوجي و الإشارة إلي سلبيته.

-اهتم الروائي بشخصية البطل و التي كانت بطولته مضادة، كما أحاط بكل العوامل و المؤثرات التي ساعدته في التحول.

-تناولت رواية "دمية النار" فترة التسعينات و التي تتعرض لوضع المثقف و السياسة، وما نتج عنه من سلوك و أخلاق، حيث جعلت منه شخص مستعد لممارسة العنف كلما سمحت الفرصة لفعل ذلك.

-استثمار السيرة الذاتية في هذه الرواية.

-اعتمد بشير مفتي في روايته دمية النار ضمير المتكلم.

-استعان الروائي بتقنية التمويه .

-تداخل أنماط الرؤية، من رؤية مع، إلي رؤية من الخلف، الرؤية من الداخل.

-تنتمي رواية دمية النار إلي ما اسماه"ادوار الخراط"بالحساسية الجديدة أو الرواية العربية الجديدة،كما تعرف في الكتابات النقدية .

-زمن الكاتب في هذه الرواية هي فترة التسعينات.

قائمة المصادر و المراجع:

1-المصادر:

1-القراءن الكريم.

2-مفتي بشير ،دمية النار،الدار العربية للعلوم ناشرون ،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط2010،1.

2-قائمة المراجع:

1-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،لسان العرب،دار صادر،بيروت،دط،مادة شخص.

2-قسومة صادق:طرائق تحليل القصة.

بوطاجين سعيد:الاشتغال العاملي،دراسة سيميائية،"غدا يوم جديد"،رابطة كتاب السعيد [1]3-- الاختلاف، ط1 ،2000.

4- الهواري احمد إبراهيم :البطل المعاصر في الرواية المصرية،دار الحرية للطباعة ،بغداد 1976.

5-لازاروس:الشخصية،تر،سيد محمد غنيم،دار الشروق،القاهرة،ط1998،3.

.الثقافي الزمن،الشخصية،المركز الروائي،الفضاء، الشكل :بنية بحراوي 5- حسن 1990.،1العربي،بيروت،ط

6- د،مراد وهبة:البطل في الدول الحديثة النمو،مجلة الطليعة ،يناير1965.

7- د.صبحي محي الدين:البطل في مأزق،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،1997

8- روحي الفيصل سمير :الرواية العربية،البناء و الرؤيا،مقاربات نقدية ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط،2003 .

9-محمد عياد شكري: البطل في الأدب و الأساطير ، ط2، دار المعرفة، فبراير 1971.

10- الرزاق جلبي علي:دراسات في المجتمع و الثقافة و الشخصية، دار النهضة العربية، بيروت 1984.

11- الرزاق جلبي علي:دراسات في المجتمع و الثقافة و الشخصية، دار النهضة العربية، بيروت 1984.

12-مرتاض عبد المالك:تحليل الخطاب السردي،معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ط4،1995.

13- عثمان نبيلة و بن أعراب ليندة :مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس ،قسم اللغة و الأدب العربي،بجاية2001.

14- مرتاض عبد المالك: نظرية الرواية،بحث في تقنية السرد،سلسلة عالم المعرفة،ع240ديسمبر 1998،الكويت.

15- فيليب هامون:سيميولوجية الشخصيات الروائية،تر سعيد بن كراد،تقديم عبد الفتاح كليطوا،الرباط،دط،1990

16-محمد رياض وتار: شخصية المثقف في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،سوريا،1999.

20- ينظر :العشري ،احمد،البطل في مسرح الستينات بين النظرية و التطبيق"دراسة تحليلية "الهيئة المصرية العامة للكتاب1992 ،ص.13

الفهرس

مقدمة..... 1

الفصل الأول مفهوم البطولة و تطوره في الأدب.

المفهوم التقليدي للبطل..... 11

البطل في النقد الأدبي الاجتماعي..... 15

إشكالية تحديد البطل في الرواية..... 25

تلاشي البطولة..... 27

الفصل الثاني:مجتمع الرواية..... 33

مجتمع الرواية في دمية النار لبشير مفتي..... 34

الفصل الثالث تحليل شخصية البطل المضاد..... 62

التناقض القيمي بين الروائي بشير مفتي و بطل روايته رضا شاوش..... 63

تحليل شخصية البطل..... 65